الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالـي والبحث العلمـي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلـوم الإسلاميـة
قسم الحضارة الإسلامية

أثر الحوار في التصوير الفني في قصص الانبياء قصتي ابراهيم وموسى عليهما السلام

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية؛ تخصص: اللُّغة العربيَّة والدِّراسات القرآنيَّة

الطالب:
بن ليفة سلمى

المشرف:
د.ابتسام فارح

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. بسمة بلباسي		جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	رئيسا
د. ابتسام فارح		جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	مشرفا ومقررا
د . بلال بوسنة		جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445– 1446هـ/ 2024– 2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الحمد لله الذي وفقنا ويسـر لنا أمورنا وبلغنـا المراد وأعاننا على

إنجـاز هذا العمل المتواضع الذي نهـــديه إلى:

الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى أخــواتـي وإخوتي كلا باسمه

إلى كل أقاربنا

إلى كافة زملائنا وصديقات

إلى كل الذين سـاعدونـا ووقفوا إلى جانبنا جزاهما الله كل خير

ونصرة لإخوانا في فلسطين .

شكر و تقدير

" من لا يشكر الله لا يشكر الناس"

الحمد والشكر لله الذي مهد لنا طريق العلم والتنوير، ووفقنا لإنجاز

نتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذة الفاضلة: ابتسام فارح على

قبولها الإشراف على هذه المذكرة وعلى توجيهاتها العلمية القيمة ومساعدتها لنا.

كما نتقـــدم بخـــالص الشكـــر والامتنان لكل من ســـاهم في إنجـــازها من قـــريب أو من بعيد.

جزيل الشكر والتقدير لكل من علمنا حرفا أو كلمة في مشوارنا الدراسي

أساتذتنا الأفاضل بكلية العلوم الإسلامية.

وإلى كل من مد لنـــا يد المساعدة.

ســـلـمى

مقدمة

مــقــدمــة :

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولي مرشدا، أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فهو من أجل الكتب وأعلاها قدرا وأكثرها علما واعذبها نظما، نشهد ألا إله الا الله وان محمد عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين سيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين والمرسلين والصلاة والسلام وعلى إله واصحابه الغر الميامين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين أما بعد:

إن القرآن الكريم المعجزة الخالدة ومنهاج الحياة الانسانية فكان سيد الخلق ناصحا للأمة واعضا لها ومبينا تشريعاته وأحكامه وعلومه كلها ، وكان منهجا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد اجتمعت فيهم خصال الجمال والكمال ، أخلاقا وعقيدة ، وعلما معجزة بيانية خالدة ليوم الدين تفتح لكل دارسا أفاقا جديدة ,فقد ذكر القرآن الكرم قصصا كثيرة ونماذج حوارية بليغة ومؤثرة عن الأنبياء والرسل وأقوالهم مما ساعد الحوار في التصوير الفني على نقل الصراع الداخلي والخارجي وتعزز فهم المتلقي للمواقف الدينية من خلال الصور وتجسيدها من خلال تعبير القرآن كما قال السيد قطب *وكشفت عما فيها من جمال فني * وبينت القدرة التي تصور بالألفاظ المجردة ما تعجز عن تصويره الريشة الملونة والعدسة المشخصة وقال مرجعي الأول هو المصحف لأجمع الفنية في القرآن واستعرضها وبين طريقة التصوير فيها والتناسق الفني في إخراجها ، معتمدا على الجانب الفني الخال دون التعرض للمباحث اللغوية أول الكلامية أو الفقهية وغيرها .

وهذا ما دفعني لاختيار البحث في هذا الموضوع: **أثر الحوار في التصوير الفني في قصص الأنبياء قصتي إبراهيم وموسى عليهما السلام نموذجا.** وقد اخترت القصتين للتنويع ولأنهما أكثر القصص ذكرا في القرآن الكريم، وحتى تترسخ الفوائد والعبر في المجتمع.

الاشكالية:

كيف ساهم الحوار في بناء التصوير الفني في قصتي إبراهيم وموسى عليهما السلام ؟ وما أبعاده البلاغية والدلالية في إبراز المعاني والتأثير النفسي؟

وتتفرع عن هذه الاشكالية عدة تساؤلات فرعية منها:

- م أهمية الحوار في قصص الأنبياءعليهم السلام من خلال الحوارات في القرآن الكريم؟

- كيف صور لنا القرآن الكريم حوارات سيدنا إبراهيم وموسى عليهما السلام والغرض من ذلك؟

0 وما هو دور الحوار في بناء الشخصيات وتصوير الأحداث الدينية في القصص القرآني الخاصة بالأنبياء إبراهيم وموسى عليهما السلام؟ .

أهمية البحث:

- للحوار أهمية كبيرة في القرآن الكريم، كما أنه يسهم في توضيح العلاقة بين الأنبياء وأتباعهم هي من جهة ومن جهة أخرى العلاقة بين الله مع أنبياءه مثل قوله تع الى "وكلم الله موسى تكليما "[سورة النساء : الآية 163].
- من خلال دراسة التصوير الفني لسيد قطب قدم لنا هذه القصص بطريقة فنية رائعة في رأيه. يعتمد في سرد القصص على تصوير المشاهد والأحداث بأسلوب يشد الانتباه ويوصل العبرة بطريقة مؤثرة.
- القران الكريم يصور لنا الحوارات بطريقة دقيقة في التعبير مما يجعل القارئ كأن الحوار يحدث في اللحظة نفسها مما يساهم في تعزيز الرسالة .

أهداف البحث:

وتتمثل في :

1 - خدمة كتاب الله

2 - من خلال الحوار في قصص الأنبياء يمكن أن يظهر لنا الأبعاد النفسية والشخصية للأنبياء مما جعلهم شخصيات حية تتفاعل مع الأحداث بمشاعر وأفكار والتصوير الحي للحوار يجعل القارئ يتفاعل عاطفيا مع الشخصيات ويشعر وكأنه جزء من هذا المشهد.

3 -إبراز شخصية إبراهيم وموسى عليهما السلام مع أقوامهم وفي أفعالهم.

4 - يعرض لنا القرآن الكريم أساليب الحوار نعكس الحكمة والصبر والقدرة على التأثير مما يهدف إلى إبراز كيفية التواصل مع الآخرين بطريقة مؤثرة.

5 - دراسة أثر الحوار في تصوير الفني في قصص الأنبياء مع التركيز على قصتي إبراهيم وموسى.

أسباب اختيار الموضوع:

اولا: مما دفعني للاختيار هذا الموضوع **اسباب ذاتية** أهمها:

- بفضل حفظي لكتاب الله ودراستي لكتاب سيد قطب شعرت بتحفيز قوي لكتابة مذكرة حول هذا الموضوع ، وأريد أن أكتشف كيف طبق سيد قطب التصوير الفني في آيات القرآن خاصة قصتي إبراهيم وموسى وأريد أن أظهر كيفية تأثير الآيات القرآنية والحوار في القرآن الكريم.

ثانيا: أسباب موضوعية وأبرزها:

- مما دفعني أيضا في إنجاز هذا البحث بلاغة وإعجاز النظم القرآني في الحوار لكثرة.
- لكثرة ورود قصتي إبراهيم وموسى عليهما السلام مما يدل على وقوع وقعها على النفس وما دفعني إلى إنجاز هذا البحث.
- يعتبر البحث في مجال التصوير الفني والحوار في القرآن أمرا هاما حيث يساعد على فهم القرآن الكريم بشكل أفضل وتحفيز التفكير والتفاعل.

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاعي على دراسات سابقة أتيحت لي دراسات عدة أهمها:

1. ـحوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم، أبوبكر الوليد صديق خالد، رسالة جامعية ماجستير، جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية، كلية الدراسات العليا، السودان. وقد تناولت هذه الدراسة كيفية الحوار الأنبياء مع أقوامهم مبينا الآداب والأهمية في هذا الحوار.

2ـ مع الأنبياء في القرآن الكريم، قصص ودروس وعبر من حياتهم، تأليف عفيف عبد الفتاح طبارة، فقد تطرق في هذه الدراسة للتعريف بالنبوة والرسل، وقصص الأنبياء وأهدافهم في القرآن الكريم بالتفصيل كذلك.

3ـ قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، وقد تناولت هذه الدراسة بداية من قصة آدم عليه السلام إلى قصة عيسى عليهم السلام تفصيلا بالآيات وشرحها

4 ـتصريف القول في القصص القرآني (دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام للدكتور محمد صافي المستغازمي، وقد آثر هذه الدراسة تحليلا بلاغيا ووقف على أسرار تصريف القول فيها، وتتبع الأساليب البلاغية وأبرز الاغراض التي أدتها من خلال نظم الآيات. قال ازدادت رغبتي في تسليط الضوء على مصطلح تصريف القول ووقع اختياري على بحث وتنقيب على قصة موسى عليه السلام لاعتبارات كثيرة منها : أنها أكثر القصص الأنبياء ذكرا في القرآن، ووردت مشاهد عدة في أثواب فنية متنوعة ، آسر لب قارئها روعة الجمال ، وبهاء عرص ، وإبداع نظم ، وعذوبة ألفاظ وسحر أسلوب ، وكأنها أمام القارئ لوحة فنية .....فهي ألصق الدراسات بدراستي إلا أنني فصلت في حوارات موسى وإبراهيم عليهما السلام .

وحسب اطلاعي على هذه الدراسات تبين لي أنه لم يتعرض أحد من الدارسين السابقين لذكر قصة إبراهيم وموسى عليهما السلام وتصوير قصتهما وحوارهما في القرآن بهذا العنوان (أثر الحوار في التصوير الفني في قصتي إبراهيم وموسى نموذجا).

منهج البحث:

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المهج الوصفي تتخلله آلية التحليل واستقراء الآيات . أما المنهج الوصفي فقد اعتمدته في وصف كيفية تصوير القرآن لمشاهد الحوار.
والصور الفنية البارزة في القصص المذكورة فقد اعتمدت عل آلية التحليل في تحليل الآيات.

صعوبات البحث:

- تشعب المادة العلمية ووفرتها بكثرة.
- ـصعوبة تصنيف المادة العلمية، والقرآن معجز للثقلين فهو معجز إلى أجل غير معلوم.

خطة البحث:

إنطلاقا من التساؤلات التي عرضت في إشكالية البحث وتحقيقا للأهداف والأهمية المسطرة في هذا الموضوع، إتبعت خطة تحتوي على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد تطرقت إلى المنهجية وعناصرها اللازمة ، ثم **المبحث الأول** الذي عرضت فيه مفهوم الحوار لغة واصطلاحا وذكرت فيه أمثلة من القرآن الكريم ، أما المطلب الثاني تكلمت فيه عن آداب الحوار اللازمة ، والمطلب الثالث عن أهمية الحوار وأساليبه في القرآن الكريم ، وقدمت نماذج في ذلك ، أما **المبحث الثاني** فقد كان بعنوان التصوير الفني ومنهج العلماء فيه وآراؤهم ذكرت مظاهره في القرآن الكريم وقسمت إلى ثلاث مطالب ثم إلى فروع ، مطلب فيه مفهوم التصوير الفني لغة واصطلاحا ، والمطلب الثاني فيه منهج العلماء وآراؤهم ، وأبرزت نظرية سيد قطب وفكرته الجديدة التي جاء بها ، أما المطلب الثالث فقد ذكرت فيه مظاهر التصوير الفني وتتمثل بالحس والخيال والحالات النفسية وكذلك المتعلقة بمشاهد يوم القيامة من صور النعيم والعذاب وذكرت المظاهر الخاصة بألوان البيان في القرآن ، كل هذه في المباحث النظرية ، اما **المباحث التطبيقية** فقد بدأت بقصة إبراهيم عليه السلام في المبحث الثالث وقسمته إلى ثلاث مطالب ، المطلب الأول إبراهيم مع والده وترك عبادة الاصنام وإثبات العقيدة ، والمطلب الثاني ،تكلمت فيه عن سيدنا إبراهيم وقومه ، والمطلب الثالث مناظرته مع النمرود ، أما **المبحث الرابع** ، وقد قسمته إلى ثلاث مطالب كذلك ، المطلب الأول ، حول حوار سيدنا موسى وموقفه من فرعون وكيف تربى في منزله ، والمطلب الثاني ، كيف كانت دعوة قومه للتوحيد وموقفه من بني إسرائيل حول عبادة العجل وبقرة بني إسرائيل ، والمطلب الأخير كانت الرحلة الرائعة مع موسى والعبد الصالح الذي رافقه وتعلم من علمه وأدبه أمورا كثرا مع أنه اعترض أول الأمر لكن شرح له جميع تصرفاته في هذه الرحلة والدروس المستفادة من ذلك.

وأخيرا الخاتمة وقد ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة تجيب عن الإشكالية المطروحة مع بعض التوصيات آخر البحث.

هذا وإن وفقت فمن الله وإن اصبت فمن نفسي ومن الشيطان ، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلني من أهل العلم ، العاملين به ، المخلصين له ، بكل جهد وأن يتقبل مني هذا العمل المتواضع إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المبحث الأول:

الحوار آدابه وأهميته وأساليبه في القران الكريم

المطلب الأول: مفهوم الحوار

المطلب الثاني: آداب الحوار في القرآن الكريم

المطلب الثالث: أهمية الحوار وأساليبه في القرآن الكريم

خلاصة المبحث

المبحث الأول: الحوار آدابه وأهميته وأساليبه في القرآن الكريم

يعد الحوار في القرآن من الأساليب البلاغية المهمة التي تستخدم لنقل الحقائق الدينية والأخلاقية، لتوضيح المواقف والمعاني الغامضة في عدة مواضع في القران الكريم.

المطلب الاول: مفهوم الحوار

الفرع الأول: تعريف الحوار

أولا: لغة: جاء معنى الحوار في مقاييس اللغة لابن فارس مصدر حار حورا أي: رجع،[1] وفي مختار الصحاح المعنى اللغوي للحوار والمحاورة أي : المجاوبة (التجاوب).[2]

وفي لسان العرب عند ابن منظور: الحوار من الحور أي: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء وعنه حورا ومحاورة ومحارة وحورا أي رجع عنه وإليه ويقال: حار بعدما حار النقصان بعد الزيادة، حار يحور حورا ويقال حار بعدما كار، معناه من النقصان بعد الزيادة وقيل من فساد لأمورنا بعد إصلاحها والمحاور: المرجع والمحارة المكان الذي يحور أي: يحار فيه والباطل في الحوار أي في نقصه ورجوع والمحاورة: المجاوبة والتحاور وهو التجاوب، ويقال حار يحور حورا أي رجع منه.[3]

ومنه قوله تعالى: (13) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَّحُورَ (14) [سورة الانشقاق: آية14]، أي يرجع إلى ربه والحوار مصدر حاور وهو الحديث بين شخصين، النقاش.[4]

ومادة ح، و، ر بكل انشقاقاتها لهما معنى ترجع إليه وهو الرجوع والعودة.
كما أن الذي يتحاور مع غيره، فيرجع أحدهم إلى قول الآخر وأي كلمة أخذت بهذا الأصل فهي تحمل المعنى الأصلي وإن كانت اكتسبت معاني إضافية لأن الزيادة في المبنى يؤدي إلى زيادة المعنى.

1احمد فارس ، مقاييس اللغة، دار الجدل، بيروت ، ط1-1991م ، ص269 .
2الرازي ابى بكر، مختار الصحاح (مادة حور) منشورات دار الحكمة، ط1، دمشق، 1998م ، ص148.
3ابن منظور جمال الدين ابن مكرم، لسان العرب، مج3 ، دار صادر بيروت، ص264.
4محمد عبد العزيز امل، أداء القاموس الشامل، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1997م ، ص218 .

ومن المصطلحات القريبة من هذا المعنى الجدال، والمناظرة، ونحوهما فالخيال هو: (المفاوضة على سبيل المنازعة والمتعالية لإلزام الخصم) ومنه المحمود والمذموم كما سياتي بيانه.

وأما المناظرة فهي: (تردد الكلام بين شخصين كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع الرغبة كل منهما في ظهور الحق. [1]ويرى بعض العلماء أنه لا فرق بين الجدل والمناظرة اصطلاحا.

الفرع الثاني : تعريف الحوار اصطلاحا

الحوار نوع من الحديث بين شخصين فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما فلا يستأثر بأحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب .[2]

وقد ورد الحوار في عدة مواضع في القرآن الكريم. المعنى الأول لقوله تعالى: (34وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَداً وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنقَلَباً 35) [سورة الكهف: الآية 35.] .

والمعنى الثاني: لقوله تعالى: (قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلاً (36) لَّٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَداً (37) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً (38) [سورة الكهف :الآية 38].

والمعنى الثالث: لقوله تعالى:" قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (01)" [سورة المجادلة: الآية 01].

والحوار نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الغضب ، ومثال لك ما يكون بين صديقين في دراسة أو زميلين في عمل ، أو مجموعة في نادي أو مجلس أو سهرة أو غير ذلك .[3]

1 احمد عبد الرحمان الصوبان، الحوار وأصوله المنهجية ، وآدابه السلوكية، دار الوطن ،1413ه ،ط1 ، ص17 .
2 يماس محمد راشد ، فنون الحوار والاقناع ، دارين حزم 1419ه، د ط ، ص 212
3 عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، الحوار ، أصوله وآدابه وكيف نربي أبنائنا عليه ، دار الخضير للنشر 1427 ه ، د ط ،المدينة المنورة ص.30 .

الفرع الثالث : الحوار في القرآن الكريم : لقد اعتنى القرآن الكريم عناية بالغة وفائقة بالحوار وهو الطريق الأمثل للإقناع الذي ينبع من أعماق صاحبه ، وهو أساس الإيمان الذي ينبع من داخل الإنسان، والقرآن الكريم قدم نماذج كثيرة ما جاء في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُومِن ۖ قَالَ بَلِى وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝259) [سورة البقرة : آية 259] .

لقد وظف القرآن الحوار في القصص القرآني بشكل لفت الانتباه في معناه الشامل فهو يشمل الجدال، والمحاجة والمناظرة، وغيرها من المفاهيم التي تدل على ذلك، لأن الأصل في الحوار هو المراجعة والتجاب بما يقتضي من رحابة الصدر، وسماحة النفس ورجاحة العقل، وما تطلبه من ثقة ويقين وثبات، ويقوم القصص القرآني ليؤسس الدين ويقطع العهد مع العبودية والجهل وليفسح المجال والبرهان والدليل من أجل بناء نسق إقناعي للوصول إلى الإيمان مع المحاور كيف كان معتقده.[1]

قال تعالى: (" ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝") [سورة النحل الآية (125)].

ونستنتج أن القرآن الكريم يعزز بذلك الحوار كأداة للتواصل بين البشر سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين ويشدد على ضرورة أن يكون الحوار قائما على الصدق والحكمة والموعظة الحسنة [2]، بعيدا عن التعصب والصراع الذي قد يؤدي إلى النزاعات والخلافات، وغيرها، فأردت أن أتكلم في هذا المطلب عن تعريف الحوار لغة واصطلاحا وماذا قال القران الكريم عن الحوار؟ فقد ذكره بأنواع عدة في الآيات والتي سأذكرها لاحقا في المباحث الأخرى لتوضيح ذلك.

المطلب الثاني: آداب الحوار في القران الكريم.

لقد إهتم الإسلام بالحوار إهتماما كبيرا بآداب الحوار لأن الإنسان بطبيعته يحاور غيره، فهو مخلوق في أحسن تقويم، ومستخلف في الأرض، وقد كتب الله له التكريم والتفصيل، قال تعالى:

1عبد الواحد بن محمد العوكاز ، الحوار في القران والكرم وأبعاده الحجاجية ، بحوث محكمة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، د ط ، د ت ، ص67.

2ينظر ، نفس المرجع ، ص68 .

۞)وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً(70) [.سورة الاسراء :الآية 70] .

وقال تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) [سورة النحل: آية 125]. فكل من يريد أن يشارك في أي حوار فعليه أن يراعي الآداب التالية:

الفرع الأول : المحاورة بالحسنى والتواضع وبشاشة الوجه :من أهم وأبرز أخلاقيات المسلم الحوار بالتي هي أحسن والإبتعاد عن القسوة والغلظة والعنف، لأن الإسلام يأمرنا أن نتعامل باللين والرفق أثناء النقاشات[1]، لقوله تعالى:" ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" [سورة النحل: الآية125].

ـ ويقول محمد علي الصابوني: أي جادل المخالفين بالطريقة التي هي أحسن ن طرف المناظرة والمجادلة بالحجج والبراهين والرفق واللين [2].

ثانيا: التواضع وعدم رفع الصوت من آدب الحوار أن يتجنب المحاور الحديث عن نفسه وأولاده وأعماله وإنجازاته، فإن فعل ذلك يفقد شرط الحوار الناجح [3] لقوله تعالى: (30) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَ اَنشَأَكُم مِّنَ ٱلَارْضِ وَإِذَ اَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ إِتَّقَىٰٓ (31) [سورة النجم : الآية 31].

يجب عليه أن يكون متواضعا، يقول الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: هو تحير المؤمنين بأعمالهم الحسنة عجبا يحدثه المرء في نفسه، أو يدخله أحد على غيره بالثناء عليه بعمله أو عدم رفع الصوت للمحاور [4] ، لقوله : (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلَاصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ) [سورة لقمان : آية 18] .

ثالثا: الابتسامة وبشاشة الوجه قال الجويني.

1مصدر سابق ص23 .
2محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار الصابوني ، ط10، 2012، مجلد 1 ، ص137
3مصدر سابق ، ص25 .
4الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدر التونسية للنشر ، ط1 ، ج27 ،1984م، ص125 .

(كن مع خصمك مستبشرا مبتسما غير عبوس، فتكون أنت وخصمك من دواعي الغضب فابتعد) فبشاشة الوجه واللقاء مع الابتسامة تفتح سبيل القبول بين المتلقين ، والابتسامة تعبير عن الارتياح التي يؤمن المناخ الملائم لقبول الأطراف مع بعضهم، يقول الحديث النبوي الشريف *كل معروف صدقة ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طليق * والغضب ما يرافقه من انفعالات يعطل الحوار ويفسده وهو إظهار حالة من الانزعاج كل ذلك يصنع العوائق لإمكانية الحوار الإيجابي والجدل المحمود الذي يؤدي إلى الصلح وتكون له نتائج إيجابية.[1]

الفرع الثاني : قوة الدليل والحلم والصبر لنجاح الحوار:

إن المحاور الناجح هو التي يمتلك الحجج الكافية لتدعيم موقفه لأن الأصل في الكلام غير مقبول من شخص مالم يستند إلى بيان أو دليل أو برهان لقوله تعالى:" (109) وَقَالُواْ لَنْ يَّدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً اَوْ نَصَٰرِيٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ") [سورة البقرة: آية 110].

لأن قوة الدليل تساعد على اختصار مسار الحوار، وتساعد على الإقناع ويكون مقصده مرضاة الله تعالى، وإظهار الحق وانتصاره [2]، وقد نقل في الأثر عن الإمام علي بن أبي طالب قال: (ما ناقشت عالما إلا غلبته، وما ناقشني جاهل إلا وغالبني).[3]

أولا: الحلم والصبر.

ومن أخلاقيات الحوار أن يتسم المحاور بالصبر والحلم، والابتعاد عن الغضب، وألا يستفزهما مهما كان الموقف، قال تعالى آمرا نبيه عليه الصلاة والسلام بالعفو ليست من صفات المسلم الحليم [4]، لقوله تعالى: (خُذِ ٱلْعَفْوَ وَامُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ 199). [سورة الأعراف: آية 199] .

ـ يقول سيد قطب في الظلال هذه التوجيهات الربانية تدعو صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم إلى السماحة واليسر والامر بالواضح من الخير الذي تعرفه فطرة البشر في بساطتها، بغير تعقيد ولا تشديد، والإعراض عن الجاهلية فلا يؤاخذهم، ولا يجادلهم، وليستعد بالله ليهدا أو يطمئن ويطمئن

1 الطاهر بن عاشور ،التحرير والتنوير ،الدار التونسية للنشر ،الجزء 27 ، 1984تونس ص125 .
[2]آمال فهيم ، محمد بوزيان ، في ضوء القرآن مفهومه وأنواعه وأذابه ، د ط ، د ت ، ص35
[3]صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، رقم 33 ، حديث رقم 5675 .
[4]أسعد السحمراني ، الحوار في الإسلام ، أدابه وقواعده ، دار النفائس ، ط1، بيروت لبنان ، 1433ه ، 2012م ، ص46 .

ويصير ولا شك أن العفو اعلى درجة من كظم الغيظ ورد الغضب لأن العفو هو ترد المؤاخذة وطهارة القلب والتسامح مع المسيء ومغفرة خطيئته.[1]

وكثير من الذين اهتدوا لم يهتدوا لعلم المحاور واستخدامه أساليب الجدل وإنما لأدبه وحسن خلقه واحتماله للأذى ومقابلته بالإحسان.[2]

والمقصود من هذه الحوارات والمناقشات والجدل علم مستقل اعتنى به علماء الشريعة ووضحوا طرائقه وأساليبه وحكمه وضوابطه وآدابه، فيحس بأهل الإسلام أن يراعوا هذه الضوابط وأن يتعلموا هذا العلم في حديثهم ومناقشتهم وحواراتهم منطلقين على أسس شرعية، فيرضون رب العالمين بذلك وينشرون الحق ويجعلون الناس ملتزمون بشريعة الله عز وجل في سائر أمورهم.

المطلب الثالث: أهمية الحوار وأساليبه في القرآن الكريم.

الحوار أو الجدل في القرآن الكريم له أهمية كبيرة جدا ويعتبر كوسيلة فعالة لنقل الرسائل الدينية والتربوية ولتوضيح الفهم للناس وقد ذكرت في عدة آيات من القرآن الكريم تبرز الحوار مع الأنبياء ومع المؤمنين أنفسهم وأحيانا مخاطبة الله عز وجل لأنبيائه أو الحوار مع المخالفين للحق والمعاندين، وقد جاءت هذه الحوارات في مواقع عدة من السور القرآنية من أجل نقل البشر إلى الهداية والصلاح وتعليم المؤمنين كيف يحاجون وكيف يجادلون لنشر دعوة سمحاء بين المسلمين.[3]

الفرع الأول : أهمية الحوار:

كثرة إستعمال الحوار في الكتاب والسنة، وكثرة وقوعه من الأنبياء عليهم السلام بل تكراره واستخدامه في التاريخ كله لا يخلو منه زمان، ولم يستغن عنه نبي ولا داعية ولا عالم، وكما هو واقع في الدنيا واقع وموجود في الآخرة كذلك بل حتى في الجنة والنار فيها محاجة ومجادلة ومخاصمة [4]، قال تعالى: (قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ(32)"[سورة هود : الآية 32] . وكثير من الأمثلة وردت في القرآن الكريم. لم يسعني الوقت لذكرها .

[1] سيد قطب ، في ظلال القرآن القرآن ، دار الشروق ، ط2 ، 1972 ، القاهرة ، بيروت ، ج1، ص18 .
[2] نفس المصدر ، ص20 .
[3] عبد الله عودة ، الحوار في القرآن الكريم ، مجلة البحوث والدراسات الشرعية ، د ط ، 2012م ، مج2 ، ص139 .
[4] نفس المرجع ، ص140 .

إن أقوال العلماء في أهمية المناظرة أو المحاورة وضرورة استخدامها لها صلة كبيرة بموضوع الحوار والمناظرة قريبة وتشترك معها في الغاية للوصول إلى الحق، وإظهار الصواب، قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولإفادة كلامه العلم واليقين.

كثرة الخلاف في العصور المتأخرة ، وخروج الحوار بين المسلمين عن أهدافه وغاياته ، وما يطرأ عليه غالبا عن سوء الأدب وحدة الكلام ، وربما تطور إلى تبادل التهم والسب والشتم ، بل أصبح من ميزات الحوار في كثير من الأحيان في عالمنا الإسلامي . [1] قال الله تعالى:(وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَۖ) [سورة العنكبوت :الآية 46] ، وقال تعالى : (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗاۖ) [سورة البقرة :آية 83] .

ومن أهمية الحوار: بمعنى المحاورة والمجادلة بالتي هي أحسن وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق ونصرته ودفع الباطل، والهدف منها الوصول إلى الحقيقة ، وهو الحركة الإسلامية أداة التصحيح والبناء والتقويم الذاتي، فالحوار أداة وعي مشتركة تتواكب فيها الآراء وتستعرض فيها المسائل، وهي وسيلة من وسائل الشورى والتناصح والتعاون على الصبروالتقوى [2] قال تعالى: (وَالَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَۖ (35) [سورة الشورى:الآية 35] .

ـ ويقول النبي عليه الصلاة والسلام < الدين النصيحة > وهذا هو طريق النضج وسبيل الكمال ، ولن يتم تصحيح الأخطاء ، وتدارك النقص ، إلا إذا اتسعت صدورنا للحوار ، وفي حديث لمسلم يقول : (ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه) [3].

1 يحي بن محمد، حسن بن أحمد زمزمي . الحوار وضوابطه في الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط1. 1414-1994م ص123 .
2 أحمد عبد الرحمان الصويان، مرجع سابق، ص 29 .
3 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب.، باب فضل الرفق، ج4 الحديث رقم 2594. ، ص 1703 .

والرفق في الحوار من صفات المؤمن قال تعالى: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۚ) النحل الآية 125.

وهذا ما يدل على التوجيه بالحوار اللين، وكذلك تظهر أهمية الحوار أيضا:

- ✓ أنه أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله عز وجل.
- ✓ أنه نوع من أنواع الجهاد وهو جهاد اللسان والكلمة والقلم.

وقد ذكر الكثير من العلماء أن الحوار بمعنى المناظرة، وزيد هنا فقيل إن كل مناظرة هي الحوار وليس العكس، فمنهم من يهتم بالآداب ومنهم من يهتم بالأصول .... وكل هذا يدل على أهمية الحوار وكل هذا شدة اهتمام العلماء بآداب المناظرة والتأليف في ذلك.[1]

وقيل أنه يدخل فيه من لا يحسنه أو من ليس من أهل العلم خاصة في هذا الزمن الذي كثر فيه الجدال المذموم، لأنه لا يقيم على آداب وضوابط، فكانت دراسة الحوار وآدابه من الأهمية بمكان لأنه لا يثمر إلا بذلك.

وخلاصة الكلام أن أهمية الحوار ودراسة موضوع الحوار وآدابه أصبح كلا مباحا لكل متكلم، فالواجب على أهل الإسلام من العلماء والدعاة وطلبة العلم من أهل السنة والجماعة، أن يعنو بمثل هذا الموضوع فيبحثوا فيه ويتكلموا عنه فهم أحق بذلك واولى ولا يتركوه لمخلط أو معرض[2].

والهدف من معرفة الحوار وأهميته كبيرة جدا في دراسة الموضوع هو الثمرة المطلوبة، ويحدد موضوعاته وآدابه وعليه فان الحكم على الحوار إنما يكون بمعرفة أهدافه، لأن الأمور بمقاصدها، كما أن معرفة الأهداف هي التي مدى نجاح الحوار، لان نجاح كل شيء متعلق بتحقيق أهدافه المحددة ، إضافة إلى أن تحديد الأهداف هي الخطوة الأولى في كل عملية يريد أن يقوم بها الإنسان للوصول إلى الحق.

1 موسى بن يحي الفيفي ، وعبد الغفور عبد الحق. الحوار آدابه واصوله، وآدابه، وكيف نربي أبناءنا عليه، المدينة المنورة، دار الخضيري للنشر، د ط ، 1427، ص9

[2] عبد الله عودة ، الحوار في القرآن ، ص151 .

لأن الحوار أسلوب حضاري، وضرورة إنسانية، وهو من روح العصر وأحد ظواهره المهمة، وهو الوسيلة المثلى لمعرفة الواقع والدخول في التفاهم والإقناع .[1]

الفرع الثاني: أساليب الحوار في القرآن الكريم.

من أساليب الحوار التي ذكرت في القرآن الكريم واستخدمها الله عز وجل لإرشاد البشر وتنبيههم وتعليمهم أمور دينهم ما يلي:

أولا: أسلوب الوعظ والارشاد.

نرى في هذا الأسلوب أن القران الكريم استخدم أسلوب الوعظ في تعليم لقمان الحكيم إبنه القيم الدينية والأخلاقية والعقدية والتحذير من الشرك، قال الله تعالى:

(وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (12) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (13) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (14) [سورة لقمان : الآية 14] .

وهذا الأسلوب يجمع بين الوعظ والنصيحة والتوجيه وتصحيح العقيدة كما كان القرآن يواجه اليهود بالأساليب الواعظين والإثارة العاطفية والعقلية كطريقة في تحريك الجمود النفسي الذي أوحى إليهم بالجحود العقدي ، فيلتقي لديهم الحاضر بالماضي إمتداد إلى المستقبل الذي يواجههم بالإنسجام ما يبشرون به من تعاليم وما يمارسونه من أعمال وفي الآخرة بالمسؤولية الكبرى أمام الله .[2]

ثانيا: أسلوب الاستدراج.

وقد ذكر القرآن الكريم في سورة مريم حوار إبراهيم مع أبيه فقال تعالى:

(41)إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا (42) يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا (43) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ

[1] أبو بكر ، الوليد صديق خالد ، ، حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم ، رسالة ماجيستير،جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، كلية الدراسات العليا ، 2005 ، ص266

[2] محمد حسين فضل الله ،الحوار في القران قواعده اساليبه معطياته ،دار المنصور للنشر ، د ط ،ج1 ،ص140

لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (44) يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا (45) مريم الآية : (41 – 45) وهذا الاسلوب فيه استدراج للخصم ,واتيان به للحق ,واذعان بألطف العبارات ، ولعل كلمة (يا أبت) تكون خير دليل .[1]

وهذه الآيات تبين نصح سيدنا إبراهيم أباه وهو يعظه وينقذه مما هو متورط فيه، رتب معه الكلام في أحسن نظام ، مع استعمال المجاملة واللطف والأدب الحميد وهذا الأسلوب يقدم مثالا عاليا للداعية المسلم في منهج الدعوة وخلق الداعية .[2]

ثالثا: أسلوبي الاستفهام والتأكيد .

ـ يقول الله عز وجل في سورة الانعام عن حوار النبي صلى الله عليه وسلم ومشركي قريش قال تعالى: (19) قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ (20) [سورة الأنعام: الآية 20].

ـ يقول الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير أن هذه الآية تنتقل من الإستدلال على إثبات صفات الله إلى إثبات صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع جعل الله شاهدا على مكذبيه وماكدا على أن الله شاهدا على صدق الرسالة وشموليتها وعمومها ومن أساليب التأكيد قال تعالى :

(15) كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (16) [سورة الحشر: الآية 16].

وهو كأن يقول للإنسان يوم القيامة ، إني بريئ منك ، أي قال الشيطان لقرينه من الإنس إني بريئ منك طمعا في أن يكون ذلك منجيه من العذاب .[3] .

ـ ويقول الطاهر بن عاشوركذلك في تفسيره: فلما كفر واستمر على الكفر وجاء يوم الحشر واعتذر بأن الشيطان أضله ، قال الشيطان : إني بريئ منك ، وظاهر أن هذه المحاجة لاتقع إلا يوم الجزاء وبعد موت الكافر على الكفر دون من أسلموا .[1]

1 أبو بكر، الوليد صديق خالد ، حوار الأنبياء مع أقوامهم ، مرجع سابق ، ص113 .
2 نفس المرجع ، ص 142 .
3 التحرير والتنوير ، ج 28 ، ص109 .

وخلاصة هذا أن الآيات تؤكد على شهادة الله لرسالة النبي وإن القرآن أداة الإنذار لجميع الناس سواء خوطبوا مباشرة أو من بلغهم القرآن في أي زمان ومكان، ويظهر في المثال الثاني كيف أن الشيطان يغرر بالناس ويبين عاقبة إتباع الضلال، ويؤدي بهم إلى العذاب الأبدي باتباعهم الكفر وأعمال الشيطان الذي أدى بهم الخسران في الآخرة.

ونستنتج من هذا المبحث:

- أن الحوار أداة من أدوات البلاغ والتفهيم، ومظهر من مظاهر العقل والمنطق في الدعوة.
- الحوار في القرآن يفهم على انه تبادل الكلام بين طرفين أو أكثر بقصد الوصول إلى الحق أو توضيح الحجة.
- والحوار وسيلة لتحقيق الإقناع بدل الإكراه، والرحمة بدل العنف، وله دور في الدعوة إلى الله، وإصلاح المجتمعات، وتزكية النفوس.
- والحوار في القرآن أساس متين للتواصل الفعال والبناء، ويعلم القرآن المسلم أن يكون هادئا منطقيا، وعادلا في حواره مع الآخرين، ويعزز قيم التسامح والعدل بين أفراد المجتمع.

واستخدم القرآن عدة أساليب متنوعة منها الاستفهام وذلك لإثارة لانتباه وتوجيه الفكر وأسلوب الموعظة الذي يلين قلوب الناس، وركز القرآن الكريم على الجدال بالتي هي أحسن والصبر مع الآخرين لنجاح الحوار في المجتمع الاسلامي.

[1]ينظر، المرجع السابق ، التحرير والتنوير ، ج،28 ،ص110 .

المبحث الثاني:

التصوير الفني ومنهج العلماء فيه وبعض مظاهره في القرآن.

تمهيد

المطلب الأول : مفهوم التصوير الفني

المطلب الثاني : منهج العلماء في بيان التصوير الفني.

المطلب الثالث: مظاهر التصوير الفني.

خلاصة المبحث

المبحث الثاني: التصوير الفني في القرآن الكريم

تمهيد:

يقول الخالدي: أصدر سيد قطب أول كتاب إسلامي قرآني هو التصوير الفني سنة 1945 وسجل فيه نظريته التي تعرف عليها في التعبير القرآني وهي نظرية التصوير، حيث شرح معنى التصوير، وتحدث عن خصائصه ومجالاته وآفاقه، وكانت تحليلات لطيفة أعجب بها الأدباء والباحثين.

وما قاله في التحليل الجمالي للتعبير القرآني في هذه النظرية لم يقله أحد من دارسي القران دراسة بيانية من قبل، ولذلك تفرد في معرفة (المفتاح الجمالي) الذي فتح فيه كنوز القرآن الجمالية وهو التصوير الفني. وسأعرض في هذا المبحث منهج العلماء في التصوير الفني وبعض مظاهره في لقرآن الكريم.[1]

المطلب الأول : التصوير الفني في القران الكريم.

الفرع الأول : التصوير لغة .

صور، المصور، من أسماء الله الحسنى ، وهو الذي يصور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها .[2]

الفن لغة :

جاء في لسان العرب أن مادة فنن تعني الفن واحد الفنون وهي الأنواع والفن الحال والفن الضرب من الشيء والجمع أفنان وفنون ، الفنون والرحل يفنن الكلام أي يشتق في فن بعد فن والتفنن فعلك رجل مفنن يأتي بالعجائب[3].

وأما في أساس البلاغة فجذر: (ف ، ن ، ن تعني): أخذ أفانين الكلام وافتن في الحديث وتفنن فيه ، وجرى الفرس أفانين من الجري وافتن في جريه .[1]

1سيد قطب ، ملخص كتاب التصوير الفني ، (مقال ومواضيع دينية متفرقة) ص 87 .
2 لسان العرب ، لابن المنظور، مرجع سابق ج8. ص304[2]
3[3] ابن منظور، ص 326

ـ ومعنى الفن في كتاب صلاح الخالدي ، عند سيد قطب: هو الحذق والمهارة وهو في الأدب جودة العرض وحسن السبك وجمال الأسلوب وقوة العاطفة ونشاط الخيال.[2]

التصوير الفني : هو الأسلوب السائد في القرآن حيث يعبر عن الحالة النفسية، والخواطر الذهنية بمعنى حسي متخيل، مثل قوله تعالى :

(20) ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ ٱعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ (21) [سورة ابراهيم : آية 21] .فهي تعبر عن صورة فنية متحركة تظهر حركة الريح وهي تبدد الرماد بحيث لا يمكن أن يجمعه أبدا.

الفرع الثاني : مفهوم التصوير الفني اصطلاحا

يعرف سيد قطب التصوير الفني: التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن.[3]

ويقول صلاح الخالدي: وخلاصة معنى هذا المصطلح التصوير الفني في القرآن: أي أن القرآن استخدم طريقة التصوير البيانية المتخيلة للتعبير عن موضوعاته ، وجعلها قاعدة التعبير البياني فيه .[4]

ومن مصطلحات التصوير" التصوير، الصورة، والتصور، السحر، التناسق، الجرس، الظل، التجسيم ، ذكرت في كتاب سيد قطب.

ونستخلص من هذا المطلب أن التصوير الفني هو وسيلة لتحقيق الإعجاز القرآني.

ويظهر أن التصوير الفني فن لغوي يستخدم في القرآن لتحقيق أهداف تعبيرية دلالية، والدلالة على أهمية اللغة في التعبير، وللتصوير الفني أسلوب تعبيري ينقل المعنى إلى الحس.[5]

المطلب الثاني: منهج العلماء في التصوير الفني وآرؤهم

---

1 الزمخشري ، اساس البلاغه ، تح محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، ج2 ،مادة ففنن ، بيروت لبنان ، 1998، ص 716

2 صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني ، ط1 ،دار الفاروق ، 1443ه .2016م ص84.

3سيد قطب ، التصوير الفني ، دار الشروق 1988م، ط 10، ص36 .

4 المصدر السابق ، ص86 .

5 ملخص كتاب التصوير الفني ، مرجع سابق ص87

لقد كان العرب من قبل يتذوقون بحاستهم الفنية للقرآن الكريم وجماله الفني الساحر، وأحسوا بتأثيره المباشر في قلوبهم ، وتحسسوا أثر سلطانه العجيب في نفوسهم ، أما الكافرون والمعاندون شنوا ضده حربا دعائية ضخمة ، فقالوا عنه : إنه شعر ، وإنه سحر ، واعترفوا بالعجز البالغ مع معارضته ، وأدركوا إعجازه البياني الرفيع .وقد مرت بمراحل منها :

الفرع الأول : مراحل التصوير الفني .

وقد كانوا قديما معتمدين على التفسير والبلاغة إلى ان تطور بهذا اللفظ التصوير الفني .

المرحلة الأولى : مرحلة التأسيس والتذوق الجمالي.

وتسمى مرحلة التأسيس للتصوير الفني حيث منذ نزول الوحي استخدم القرآن أساليب بلاغية وفنية لتوصيل رسالته، وقد تناول سيد قطب هذه الظاهرة في كتابه سنة 1939 ، حيث قدم تحليلا فنيا لأساليب التصوير الفني، وإذا نظرنا في الروايات التي سجلت تأثير القرآن ، فإننا لا نجد فيها تعليلا فكريا لهذا الأثر ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عن القرآن : (فلما سمعت القرآن رق له قلبي ، فبكيت ، ودخلني الإسلام) .

وهذا الوليد بن المغيرة يقول عن القرآن: (والله إن له حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلو وما يعلى) [1].

وهؤلاء زعماء قريش يجدون شيئا خفيا يسيرهم كل ليلة ليسموا قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يستطيعون الامتناع عن السير إليه ، مع تعاهدهم عليه ، ولا يملكون مخالفة هذا الدافع الخفي ، وعندما ننظر في كلامهم هذا ، وندرك حالتهم الواقعية تلك ، فإننا لا نجد فيهما (صورة واضحة عن الجمال الفني في القرآن ، فالقوم في شغل عن بيان هذه الصورة بما يتملونه منها في نفوسهم ، وما يحسونه منها في شعورهم ، وهم حيارى مضطربون ، أو ملبون مهطعون) .[2]

المرحلة الثانية : مرحلة التصنيف والتفسير البلاغي عند العلماء .

1 مرجع السابق، ص 19
2 صلاح الخالدي، ص 19

عندما أقبل المفسرون والأدباء والمتكلمون على القرآن الكريم يدرسونه ويفسرونه ويتذوقون جماله ، وكان هذا بعد منتصف القرن الثاني الهجري ، واقتصرت نظراتهم على نواح جزئية ، حيث نظروا في الآية كوحدة منفصلة ، وراحوا يستخرجون منها مباحث في اللغة والأدب والبلاغة ، والأصول والفقه والتشريع والعقيدة وغيرها، وكتبوا العديد من التفاسير الضخمة ، وملأوها بهذه المباحث ، فكانت تفاسير نحوية أو بلاغية أو فقهية أو عقدية أو مذهبية أو صوفية ، كما ألفوا العديد من الكتب في علوم القرآن ، بينوا فيها ما تضمنه القرآن من علوم مختلفة ، ومباحث متنوعة ، كقصص القرآن ونحو القرآن ، ومعاني القرآن والإعجاز و.....وغيرها ، وبصنيع المفسرين أخذ التفسير ينمو ويتضخم من أواخر القرن الثاني ، ولكن بدلا من أن يبحث عن الجمال الفني في القرآن ، أخذ يغرق في مباحث فقهية وجدلية ونحوية و....و....وغيرها.[1]

ـ لقد مضى الباحثون الأوائل بفضل حسهم الفني وضائقتهم الأدبية مثل : أبي عبيدة (ت 188 ه) والجاحظ (ت5 25) يزرعون بذور فكرة التصوير الفني .

كانوا يظهرون فكرة التصوير الفني في القرآن الكريم، من خلال انشغالهم بقضايا المجاز والتفسير والإعجاز البلاغي، وإن كانت جهودهم لم تتجاوز النظرة البيانية كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية دونما اهتمام بالسياق الفني الكلي الذي ينتظم الخطاب.

ـ ومع أنهم احتفوا بالصورة الفنية في الجانب البياني إلا أن ذلك لم يقارب أبعادها الحقيقية، ومع تناول الأساليب في القرآن وأثرها في الإقناع والتأثير بأن فهم الصورة القرآنية على أنها طريقة في الإقناع بما تؤديه من وظيفة الإبانة والتوضيح والحجاج.....الخ[2].

المرحلة الثالثة : النقد الأدبي والبلاغي

وهي المرحلة التي اهتم بها المحدثين في هذا الفن حيث بدأ النقاد والأدبيون في تحليل القرآن من منظور فني جمالي معتمدين على المناهج النقد الأدبي الحديث بداية من أبي عبيدة والجاحظ. ويعد الجاحظ (ت 868) هو أول من وقف عند موضوع التصوير بما أشار إليه من لطائف في هذا

1 صلاح الخالدي ، نظرية سيد قطب ، ص 20

2 نورالدين دحماني ، نظرية التصوير جامعة مستغانم الجزائر ، د ط ، د ت ، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية،ص102 الفني في الخطاب .

الباب ، فنجده يقف في قوله تعالى: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) [**سورة الصافات : آية 64]** ، حيث قال يعني مخرج يدل على التخويف بتلك الصورة والتفريغ منها ، وعلى أنه لوكان شيء أبلغ من الزجر في لك لذكره ، فكيف يكون الشأن كذلك والناس لا يفزعون إلا من شيء شنيع قد عاينوه من صورة لهم وصف صدوق اللسان ، وصف بليغ .[1]

ـ يقول الطاهر بن عاشور في هذه الآية : (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) [سورة الصافات: آية 64].

شجرة في بداية اليمن يشبه شخوص الناس ويسمى ثمره رؤوس الشياطين ، وإنما سموه لبشاعة مرآه ثم صار معروفا ، وقيل الشياطين جمع شيطان وهو من الحيات ما لرؤوسه أعراف . [2] جاء الوصف هنا في هذا الأداء ليقدم لنا أداء قرآني صادق بلا شك صورة عن شجرة الزقوم وكان الجاحظ أدرك بفضل ذائقته الفنية الرفيعة أن ذلك لم يكن إلا بضرب من التصوير إلي يرتبط بالمعاينة والمشاهدة، كما أنه يدل على وعيه بقيمة الصورة ضمن المنظور البلاغي .

وتابع الخطابي[3] (ت 388 ه) الجاحظ في جمالية النظم، ولكنه بناه على صفات جمالية الألفاظ ، يقول وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه (اللفظ الحامل والمعنى به، والرباط الناظم بينهما) في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا نرى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من الفاظه، وربما انفرد الخطابي ببيان وجه جمالي من المعجزة القرآنية وهي لذة القلب والنفس بسماعه وفعاليته بهما عند تلاوته.

ـ الرماني (ت 386 ه)[4] أن القدرة الهامة من قدرة الاستعارات والتشبيهات القرآنية على التأثير يعزى إلى قضية التقديم الحسي للمعنى الأصلي المجرد ، ذاهبا للانزياح في الاستعارة القرآنية يتم من المعنى العقلي إلى الحسي وهنا يبين أن التشبيه والاستعارة في القرآن يعمدان إلى هذا التقديم

1 نظرية التصوير الفني في الخطاب القرآني، مناهج الاشتغال البلاغي في التراث ، ص .106

2 التحرير والتنوير، ج2. ص .124

3 هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، البستي ، ولد سنة 319ه ، من أئمة الحديث والفقه واللغة في ق4 ه ، كان عالما شافعيا ، متميزا بالجمع بين الرواية والدراية ، له دور كبير في شرح الأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، مما جعله من أوائل من صنف شرح الحديث ، بطريقة علمية ،ومن أشهر مؤلفاته، معالم السنن ، غريب الحديث ، بيان إعجاز القرآن ، توفي سنة 388 ، بخراسان.

4هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، توفي 386 ، وهو نحوي متكلم ، ومفسر ، من علماء المعتزلة ، ويعد من أبرز البلاغيين في القرن 4 ه ، وكان معاصرا أو قريب من الخطابي ، وأبي هلال العسكري ، ومن أهم إنجازاته الاهتمام بالإعجاز البلاغي، وشرح مسائل النحو على طريقة المعتزلة .

وفق سبيلين : إما ربط المعنوي المراد بالحسي ، وإما ربط الصورة الحسية بأخرى أشد منها تمكنا في الصفات الحسية وذكر مثال لقوله تعالى (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) [سورة الأنبياء : آية18].

يبين أن القذف والدمغ هنا مستعار وهو أبلغ وحقيقته ، بل نورد الحق على الباطل فيهبه ، لأن القذف دليل على القهر والاستعارة أبلغ ويدمغه أبلغ من يذهبه لأن فيها تأثير ، فهو أظهر في الكناية وأعلى في تأثير القوة. [1]

والتصوير هنا ما يضطلع بوظيفة التقديم الحسي للمعنى الذهني المجرد، فإنه يؤتى به الدقيق بغية التأثير في نفوس السامعين وحملها على الإقناع بالمقررات الإيمانية.

ـ أبو هلال العسكري [2](ت 195 ه) وهو محتضنا فكرة الرماني سائرا على منهجه في قوله تعالى : (فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) [سورة الكهف:آية11] .

يعزو بلاغتها إلى ما فيهه من إخراج مالا يرى الى ما يرى، أو التعبير عما يشاهد بما هو مشاهد.

ـ أبو سنان الخفاجي [3](ت466 ه) وقد راودت فكرة التصوير في الخطاب القرآني ابن سنان الخفاجي من خلال تطبيقاته على حسن التشبيه الذي يقتضي عنده ما يمثل الغائب الخفي إلي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأبلغ، فيكون حسن ذلك من أجل العلو والمبا [4]، وقد ذكر في عدة استعارات مثل قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [سورة النور: آية 39].وهو ضمن تشبيه خفي بالحسي الظاهر وغير المألوف بالألوف.

---

1 محمد الصديق معوش ، نظرية التصوير الفني ، لسيد قطب ، د ط ، د ت ، عرض ونقد جامعة الوادي ، ص114 .

2هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري ، ويكنى بأبو هلال ، سمي نسبة إلى عسكر، وهو أديب لغوي ، ناقد من أعلام مدرسة الأدب في العصر العباسي ، من أهم أعماله ، كتاب الصناعتين ، وديوان المعاني ، توفي سنة 395.

3 بن أبي الفتح بن عبد الله الهواري الاندلسي ،ولد سنة 450 ه ، في الأندلس ، يلقب بشاعر الأندلس ، من أشهر أعماله ، ركز على جمال الطبيعة ، وله ديوان شعر جمعه بنفسه ، توفي سنة 533 . هو إبراهيم ابن خفاجة .

4 نفس المرجع ، ص115 .

ـ يقول الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير" إنه جزاء كفرهم بالله ، فتشبيه الكافرين وأعمالهم تشبيه تمثيلي شبهت حالة حرصهم على الاستكثار منها مع ظنهم أنها تقربهم إلى رضى الله ثم تبين انها لا تجديهم بل يلقون العذاب في وقت ظنهم الفوز [1]. أي أن الحالة المشبه مركبة من محسوس ومعقول والحالة المشبه بها حالة محسوسة ، أي داخلة تحت إدراك الحواس [2].

مؤاخذة: ومما يؤخذ على هؤلاء الذين ذكرنا انهم تعاملوا مع فكرة التصوير الفني وفق منظور جزئي ضيق، وذلك من خلال قصرها على الاستعارة والتشبيه فقط والفكرة أعم من ذلك، فالأسلوب القرآني أسلوب تصويري قوامه مخاطبة العقل والوجدان والخيال.

ـ عبد القاهر الجرجاني [3] صاحب النظم: (ت 471ه) .

رغم أن الجرجاني انشغل بفكرة النظم كثيرا إلا أنه تفطن للكثير من المعاني في مواضيع كثيرة جدا جعل الدارسين يعودون اليها، وجعل أقرب البلاغيين القدامى يعودون إلى نظرية التصوير الفني خاصة عندما وقف على جمالية الاستعارة في قوله تعالى (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) [سورة مريم :الآية 04] .على أنها في أعلى مرتبة من الفصاحة ، لم نوجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام ، ومقرونا إليها الشيب منكرا منصوبا واشتعل شيب الرأس، والاستعارة عند الجرجاني تعني البنية السطحية والبنية العميقة[4](وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا).[سورة مريم الآية 04] .

ـ الزمخشري [5] صاحب الكشاف: (ت467ه).

لقد استفاد الزمخشري من كتابه الكشاف فكان فتحا عظيما ، وما تميز به أنه نظر إلى التصوير القرآني باعتباره أسلوبا شاملا ، وقد مكنه من ذلك أنه أفاد من تطبيقات فكرة التصوير على الشعر ،

---

[1] التحرير والتنوير ، ج7، ص250

[2] نفس المرجع ، ص251

[3] هو عبد القادر بن عبد الرحمان الجرجاني ، ولد في القرن الخامس الهجري ، وتوفي سنة 471 ه ، وله دور كبير في علم الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، وهو من اتباع المذهب الشافعي ، وكان متمكنا في النحو والبيان ، ومن أشهر مؤلفاته ، دلائل الإعجاز ، أسرار البلاغة .

4نظرية التصوير الفني في الخطاب القرآني.، ص103

5هو محمود بن عمر الزمخشري ، عالم لغوي مفسر معتزلي ، ، من أشهر أعماله الكشاف (المعروف بالكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) المعروف بالكشاف ، وهو تفسير بلاغي نحوي معتزلي للقرآن الكريم ، توفي سنة 538 .

وربطها بالتخييل الشعري ، ولعل ذلك ما يبرر استخدام الزمخشري لمصطلحات التخييل والتمثيل والتصوير وتطبيقاته على الصور القرآنية نجده معلقا على قوله تعالى ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [سورة الزمر :آية 67].

ثم نبههم على عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير, من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقية أو جهة مجاز .

يقول الطاهر بن عاشور: هو تمثيل لحال الجاهل بعظمة شيء بحال من لم يحقق مقدار صبرة فنقصها عن مقدارها فصار معنى (ما قدروا الله) أي ما عرفوا عظمته حيث لم ينزهوه عما لا يليق بجلاله من الشريك في إلاهيته. [1]

ملاحظة: الزمخشري وصل إلى ما سبقوه خاصة شيخه الجرجاني بدا تطبيقاته في التصوير على كتابه الكشاف. [2]

الفرع الثاني :- سيد قطب صاحب النظرية والفكرة والجديد في نظرية سيد قطب

أدرك سيد قطب الخصائص العامة للجمال الفني للقرآن باكتشافه القاعدة العامة والطريقة الموحدة في التعبير القرآني وهي نظرية التصوير الفني، ويعرفها بأنه الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة من المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فاذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية

1التحرير والتنوير،ج2، ص 16
2الزمخشري ، للكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل ، تح ، علي محمد معوض ، مكتبة العبيكات ، ط1 ، 1418ه، 1998م ، ج1، ص 42

لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي ، حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل.[1]

ومنذ صدور هذه النظرية لسيد قطب وهي تلاقي تقريضا كثيرا من قبل بعض الباحثين كما أنها لاقت بعض الانتقادات من قبل بعض العلماء سيما أصحاب الاتجاه الأثري في التفسير ، وهذا ما نود التعرض اليه في هذه النقطة من مداخلة (الخالدي يقول : أصدر سيد قطب أول كتاب إسلامي قرآني هو التصوير الفني سنة 1945 وسجل نظريته التعرف عليها في التعبير القرآني وهي نظرية التصوير ، حيث شرح معنى التصوير وتحدث عن خصائصه ، وعرض مجالاته وآفاقه ، وكانت تحليلاته في الكتابة أعجب بها الادباء والباحثون , وما قاله في التحليل الجمالي للتعبير القرآني في هذه النظرية لم يقله أحد من دارسي القرآن دراسة بيانية من قبل .[2]

ـ ومن أسباب نجاحه في نظريته:

نظرته للقرآن الكريم كوحدة موضوعية متناسقة ومتكاملة وأدراكه الرابط العام والخيط الدقيق المتين أي تناسق موضوعي فني معجز.

ـ تجاوزه الخلاف بين البلاغيين حول اللفظ والمعنى وفي أيهما تكمن البلاغة.

ـ تحصيله ثقافة نقدية فنية جمالية واطلاعه على مختلف الآراء حول الفن والجمال.

ـ تمتعه بنظرات نافذة متعمقة فاحصة جال بها في جنبات القرآن، وطاف في مجالاته.

ـ ممارسته الناجحة لفن التفكير، وفن التخييل، وفن التعبير، وفن النقد وشهادة الآخرين بنجاحه وتفوقه في ذلك.

والجديد في نظرية سيد قطب:

1المصدر السابق ، ص117 .
2 نظرية التصوير الفني سيد قطب ، مرجع سابق ، ص114.

نظر إلى القرآن الكريم كوحدة موضوعية متناسقة ومتكاملة وأدرك الرابط العام والخيط الدقيق المتين الذي يشد جميع آياته وسوره الى بعضها البعض بتناسق موضوعي وفني معجز.[1]

ـ ونستنتج من هذا المطلب أن سيد قطب رغم ما لاقاه من المنتقدين والمعارضين له للفكرة قال في التحليل الجمالي للتعبير القرآني في هذه النظرية لم يقله أحد من دارسي القران دراسة بيانية من قبل، ولذلك تفرد في معرفة (المفتاح الجمالي) الذي فتح فيه كنوز القرآن الجمالية إلا وهي التصوير الفني.

ونستنتج من منهج العلماء في التصوير الفني:

ـ أن العديد من العلماء تحدثوا عن التصوير الفني كثيرا، واستخدموه كأداة ادبية وخاضوا في هذا المجال كثيرا، لكن سيد قطب أبدع وابتكر في استخدام هذه الأداة وقال: بأنها الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم وقد تميز عن غيره بهذا الإبداع.

ـ وأضاف بعدا دينيا وروحيا للتصوير الفني ويتناغم من الصراع النفسي لشخصياته، حيث كانت الصورة تعكس الصراع بين الايمان والكفر، وبين الجمال والفساد.

ـ وكان ماهرا في ابتكار الصور الفنية التي تجمع بين الجمال الأدبي والمعاني الحسية لعميقة، واستخدام تقنيات البلاغة مثل التشبيه والاستعارات التي كانت تبرز الصور الحية وتجعل القارئ كأنه يعيش التجربة أو اللحظة التي يصفها الكاتب وتحمل طابعا مميزا يعبر عن الأحداث والمشاعر بأبعاد جديدة.

ـ أما الجاحظ والرماني والجرجاني وغيرهم من العلماء السالف ذكرهم، تناولوا التصوير الفني من جوانب مختلفة، مثل الاهتمام بالبلاغة وادوات التشبيه والاستعارة، وجميعهم اتفقوا على أنه يجب ان يستخدم بصورة مناسبة وتخدم المعنى، والصور البلاغية مثل التشبيه والتجسيم والاستعارة تعتبر أدوات حيوية في إضفاء الجمال والحيوية على النص الأدبي، لكنها في نفس الوقت يجب أن توظف بحذر حيث لا تؤدي إلى المبالغة على المعنى المقصود.

المطلب الثالث: مظاهر التصوير الفني.

1المرجع السابق ، نظرية التصوير الفني ،ص116.

تكلم سيد قطب عن تعريفات وخصائص وسمات التصوير وكذلك مجالات التصوير الفني كثيرا مما يمكنني اختصار ذلك فيما يلي:

الفرع الأول : مظاهر التصوير الفني (المحسوسة والمتخيلة والحالات النفسية)

1- إخراج مدلول للفظ في دائرة المعنى الذهني المجرد الى الصورة المحسوسة المتخيلة:

هنا يعبر عن المعنى الذهني بالصورة المحسوسة المتخيلة، فيكون الخطاب أوقع في النفس، وأقوى في التأثير، وادعى للقبول، إذ يجعل الحس يتأثر عن طريق الخيال بالصورة ما شاء له التأثر، فيستقر المعنى في النهاية في أعماق النفس. [1]

ويمثل ذلك بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)[سورة الأعراف: آية 40].

ـ يقول سيد قطب في الظلال: ودونك فقف بتصورك ما تشاء أمام المشهد العجيب من الخيال، مشهد الجمل اتجاه ثقب الإبرة، فحين يفتح ذلك الثقب الصغير لمرور الجمل الكبير، فانظر حينئذ أن تفتح أبواب السماء لهؤلاء المكذبين فتقبل دعواتهم وتوبتهم، وهو من الإستحالة قبول توبتهم وقد فات الأوان، وأن يدخلوا إلى جنات النعيم! إما الآن ، وإلى أن يلج الجمل في سم الخياط ، فهم هنا في النار ، التي تداركوا فيها جميعا وتلاحقوا وتلاعنوا وطلب بعضهم لبعض سوء الجزاء ، ونالوا جميعا ما طلبه الأولياء للأولياء. [2] وهنا الحس يتأثر عن طريق المكذبين والمستكبرين عن آياته.

2- **تصوير الحالات النفسية والمعنوية:** مثل التعاسة والحيرة والتزعزع ، وسأوضح ذلك بأمثلة .

1 مصطفى ديب البغاء. كتاب الواضح في علوم القران، مظاهر التصوير الفني في القران الكريم، ص170 .
2 سيد قطب في ظلال القران، دار الشروق، ط1 1972، مجلد الاول، القاهرة بيروت، ج8 ، ص1291

لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي إتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية، وإبرازها في صور حسية، والسير على طريق الحالات النفسية والمعنوية، والمتمثلة في التعاسة والحيرة والتزعزع، كلها حاضرة شاخصة بالتخييل الحسي، الذي يفعمها بالحركة المتخيلة.

ومثال هذه الحالات النفسية قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [سورة ال عمران :الآية :103] .

لقد رسمت هذه الصورة للمسلمين قبل أن يسلموا، يوم كانوا معرضين لجهنم بما هم فيه من الكفر، هكذا كنتم على شفا حفرة موشكين على الوقوع ، تكاد أقدامكم تزل فتهوون ، إنها صورة قلقة متحركة ، ولو استطاعت ريشة مصور بالألوان أن تبرز هذه الحركة المتخيلة في صورة صامتة لكانت براعة تحسب في عالم التصوير والمصور يملك الريشة واللوحة والألوان أما هنا فالألفاظ وحسب يصور بها القرآن .[1]

يقول ابن كثير في هذه الآية الكريمة: واعتصموا بحبل الله: أي بعهد الله، ولا تفرقوا أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة وقد وردت أحاديث متعددة بالنهي عن التفرقة والأمر بالاجتماع والائتلاف، كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(إن الله يرضى لكم ثلاث ، ويسخط لكم ثلاث ،يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ،وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاث ، قيل وقال ، وكثرة السؤال ،وإضاعة المال) وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ [2].

3 - **التجسيم الفني:** هناك آيات كثيرة وردت في القرآن الكريم تتكلم عن هذا النوع من التصوير، وقد ساقها سيد قطب في كتابه وذكر نماذج كثيرة عن ذلك، ولا يقصد التشبيه بالمحسوسات، وإنما

1 سيد قطب، التصوير الفني لمشاهد يوم القيامة مجلة البحوث العلمية والدراسات الاسلامية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاسلامية، 2023 ص 677.

2 الحافظ عماد الدين ابي الفداء، اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، دار الاندلس، ، ط3 ، ج2 ، 1401 ه - 1981 م ص 85

يعني لونا جديدا هو تجسيم المعنويات لا على وجه الشبه والتمثيل بل على وجه التصوير والتحليل، فالتجسيم حسب رأي سيد قطب نوعان:

النوع الأول : مثل قوله تعالى مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) [سورة ابراهيم :الآية 18] .

وهو بيان لتصوير أعمال الكفار وهي أمور معنوية في صورة حسية مجسمة تتبدى في ذلك الرماد الذي اشتدت به الرياح فاندر وتبدد ، والشيء الذي يدل على أنه تجسيم من قبيل التشبيه وهو أداة الكاف ، يقول محمد علي الصابوني في تفسيره ، مثل أعمال الكفار التي عملوها في الدنيا يبتغون بها الأجر من صدقة وصلة رحم وغيرها مثل الرماد عصفت به الريح فجعلته هبآءا منثورا ، وقال في يوم عاصف أي في يوم شديد هبوب الريح ، وقال القرطبي : ضرب الله هذه الآية مثلا لأعمال الكفار في أنه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى ، ولا يقدر الكفار على تحصيل ثواب ما عملوا من البر في الدنيا لإحباطه بالكفر ، كما لا يستطيع أن يحصل الإنسان على شيء من الرماد الذي طيرته الريح ذلك هو الضلال والخسران البعيد.[1]

النوع الثاني: تجسيم المعنويات على وجه التصيير والتحويل، وها النوع يصير الأمر المعنوي المجرد صورة حسية مجسمة بواسطة التخييل الحسي، ومثال ذلك لقوله تعالى :

(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) [سورة الانعام : الآية 31]

ويعني في هذا الموضع كيف تجسم الأعمال السيئة وكأنها أحمال مثقلة نتوء بحملها ظهور أولئك الفاسقين يوم القيامة. [2]

1 محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، المجلد الثاني، الطبعة 10 ، 2012 م، المكتبة الوقفية، ص.88
2 خصائص الصورة الفنية ، ص14 .

ـ يقول سيد قطب في الظلال: قوله تعالى: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ) [سورة الانعام : آية31].

بل الدواب أحسن حالا ، فهي تحمل أوزار من الأثقال ، ولكن هؤلاء يحملون أوزار من الآثام والدواب تحط عنها أوزارها لتذهب وتستريح ، وهؤلاء يذهبون بأوزارهم إلى الجحيم مشعين بالتأثيم [1]ـ ويقول البغوي في تفسيره : قد خسر الذين أنكروا البعث بعد الموت ، حتى إذا قامت القيامة ، وفوجئوا بسوء المصير ، نادوا على أنفسهم بالحسرة على ما ضيعوه في حياتهم الدنيا ، وهم يحملون آثامهم على ظهورهم ، فما أسوأ الأحمال الثقيلة السيئة التي يحملونها ![2]

4 – **التخييل الحسي :** الخيال في الادب هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم وهو لا يؤلفونها من الهواء ، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها ، فالسيد قطب يطرح من خلال عنصر الخيال إشكالا في غاية الأهمية وهو يتفاعل مع التصوير لذا يذهب إلى التصوير الفني ويحتاج إلى من له خيال أو وجدان ، يستقبل بهما الألفاظ التي تنتج للنفس متعة أشهر بأن تدع للخيال عملا وهو يرسم الصور ويمحوها أو يحولها إلى منظر حي متحرك لا يكاد يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني أو الحالة النفسية حتى يرتقي بالصورة التي رسمها فيمنحها الحياة النابضة والحركة المتجددة فاذا المعنى الذهني حركة يرتفع بها نبض الحياة وإذا الحالة النفسية لوحة متحركة أو مشهد حي .

ومثال ذلك: لقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) [سورة الحج: الآية 11] ولا داعي للمتلقي أن يستنجد بالمجاز وإلا بطل التصوير ، بل يترك الخيال دوره في تصوير هذا النوع من الناس ، أن الخيال ليكاد يحسم هذا الحرف التي يعبد الله عليه البعض من الناس ، وإنه ليكاد يتخيل الاضطراب الحسي في وقفتهم ، وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب ، وإن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع.[3]

1 سيد قطب، في ظلال القران مرجع سابق ص1072

2 أ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي , تفسير البغوي ، معالم التنزيل ، دار طيبة ، الرياض ، ، مج1 ، 1409 ه ص131 .

3 احمد مداني، نظرية التصوير الفني، مجلة اللغة العربية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف الجزائر، ص68

ـ يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره : هذه الآية نزلت بالمدينة ففي صحيح البخاري :عن ابن عباس في قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ[سورة الحج : الآية.11] .

قال كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال : هذا دين صلح ، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله ، قال هذا دين سوء .[1]

ـ ويقول الطبري: هم أعراب كانوا يهاجرون إلى المدينة، فإن أصابهم رخاء في العيش بعد الهجرة، ثبتوا على الإسلام، وإن أصابهم ضيق، ارتدوا عن دينهم. [2]

5 – تصوير مشاهد الحوادث الواقعة والأمثال والقصص:

ومثال ذلك قوله تعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [سورة البقرة : الآية127] .

وهذا المشهد من قصة إبراهيم عليه السلام وهو يبني الكعبة مع ابنه إسماعيل وكأنما نحن نشهدهما يبنيان ويدعوان الآن ، لا قبل اليوم بأجيال وأزمان، ففي هذه الآيات حدثت حركة عجيبة في الانتقال من الخير إلى الدعاء ، وهي التي أحيت المشهد وردته حاضرا [3]، فالخبر (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيل) [سورة البقرة: آية 127] .

كان كأنما هو الإشارة برفع الستار ليظهر المشهد : البيت ، وإبراهيم وإسماعيل يدعوان هذا الدعاء ، وكم كانت الصورة سينتقص جمالها ويذهب نورها لو قيل : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) [سورة البقرة: آية 127]، إنها في هذه الصورة حكاية ، وفي الصورة القرآنية حياة ،وهذا هو الفارق الكبير ، حيث فسر الحركة كلها في حذف لفظة واحدة ، وهذا هو الإعجاز.[4]

1التحرير والتنوير مرجع سابق، ص 211

2 تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، ط 1 ، 1415ه ، 1994م ، تح ، عصام فارس الحرستاني ، مج 2 ، مؤسسة الرسالة ، ص 576

3 عبداوي حفيظة ، تصوير الشخصيات في القرآن الكريم ، جامعة سيدي بلعباس ، ص112 ،

4 مريم ابراهيم، التصوير الفني لمشاهد يوم القيامة عند سيد قطب، ص 687

ـ يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: وجملة (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) مقول قول محذوف يقدر حالا من يرفع إبراهيم، وهذا القول من كلام إبراهيم لأنه الذي يناسبه الدعاء لذريته لأن إسماعيل كان صغيرا.

6 ـ **تصوير النماذج الإنسانية :** قال تعالى ((وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ)[سورة محمد : الآية 20] الحال تصور حال بعض ضعاف العقيدة ، ضعاف العزيمة ، لا يتبين ضعفهم في فترة الرخاء، فإذا جد الجد وجاء الشد ظهر الضعف على أتمه (ينظرون نظر المغشي عليه من الموت ..... هؤلاء يصورهم نموذجا واضحا بتلك الكلمات ومنظر المغشي عليه من الموت معهود، فما هو إلا أن يذكر التعبير، حتى تبرز صورتهم في الضمير، مصحوبة بالسخرية والتحقير.[1]

- يقول محمد علي الصابوني: أي يقول المؤمنون المخلصون شوقا إلى الجهاد دوحرصا على ثوابه :هلا أنزلت سورة فيها الأمر بالجهاد وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ) [سورة محمد: آية 20] .أي لماذا أنزلت سورة صريحة ظاهرة الدلالة على الامر بالقتال قال القرطبي (محكمة) أي لم تنسخ وقد قال قتادة :كل سورة ذكر فيها الجهاد في محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين (ورأيت الذين في قلوبهم مرض)أي المنافقين الذين في قلوبهم شك ينظرون إليك .....أي ينظرون إليك يا محمد تشخص أبصارهم جبنا وهلعا ، كم ينظر من أصابته الغشية من حلول الموت (فأولى لهم)أي فويل لهم ، وهي كلمة معنها التهديد والدعاء عليهم.[2]

الفرع الثاني : ومن مظاهر التصوير الفني : (مشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب)

لقد عني القرآن الكريم بمشاهد يوم القيامة اعتناءا شديدا بما فيها من ألوان النعيم، والعذاب والبعث والحساب ، وهي كثيرة كما ذكرها سيد قطب في كتابه (مشاهد يوم القيامة) ونذكر من أهمها:

1 التحرير والتنوير ، ص211
2 صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، ص196 .

أولا: مشهد النفخ في الصور:

قال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (68) [سورة الزمر: آية 68] ، والصور في لغة العرب هو القرن أو البوق ، وفي هذه الآية تتضمن المشهد الأول وهو النفخ في الصور، وفيه مرحلتين:

النفخة الأولى: ونفخ في الصور.....والنفخة الثانية: ثم نفخ فيه أخرى، فالنفخة الأولى للإماتة بقرينة النفخة الآتية التي هي للبعث والنفخ.

والصور هو قرن من نور ألقمه الله إسرافيل وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى وله جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله ، وأن قدميه قد خرجتا من الأرض السفلى حتى بعدتا .- وقوله (فصعق) أي مات كل الخلق (إلا ما شاء الله) ممن ثبته الله عند النفخة كالشهداء. [1]

عنها مسيرة مائة ، وعظم ما بين القرنين ما بين السماء والأرض .

وقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) [سورة يس آية 51].

- يقول محمد علي الصابوني هؤلاء يخرجون من قبورهم يسرعون المشي. وينسلون أي يسرعون في المشي يقولون يا ويلنا من أخرجنا من قبورنا التي كنا فيها، ويقول الطاهر بن عاشور: قيل ما الغليان لما في معنى الفعل من التقليب وإلا اضطراب وتقدم في سورة الأنبياء، وهذا يقتضي أنهم قبروا بعد الصيحة التي أخذتهم فإن كانت الصيحة صيحة الواقعة فالأجداث هي ما يعلوهم من التراب في المدة التي بين الصيحة والنفخة، ومعنى إلى ربهم ينسلون: أي إلى حكم ربهم وحسابه، وهو متعلق ب (ينسلون). وهي حالة قيام الناس من قبورهم في حالة ذهول ورعب ، لا يعرفون أين يذهبون[2].

1 عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله سعدي (ت 1376 ه) تيسير الرحمان في تفسير الكلام المنان ، تح عبد الرحمان بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1420 ه ، ج 1 ، ص 729

2 محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق ص 16

" ويقول الزمخشري: (يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت، فغذا فاجأه خطب، وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم؟ ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحقيرهم)[1]

ـ ويقول سيد قطب في الظلال وهو مشهد رائع وحافل ، يبدأ متحركا ثم يسير رويدا حتى تهدأ كل حركة ، وتسكن كل نائمة ، ويخيم على ساحة العرض جلال الصمت ، ورهبة الخشوع بين يدي الله عز وجل ، وها هي ذي الصيحة الأولى تنبعث ، فيصعق من يكون باقيا على ظهر الأرض من الأحياء ، ومن في السماوات والأرض ولا تذكر الصيحة الثالثة هنا ولا تصور ضجة الحشر وعجيج الزحام ، لأن هذا المشهد يرسم هنا في هدوء ويتحرك في سكون .[2]

ثانيا: الحشر والعرض على الله:

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ(49)لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (50) [سورة الواقعة : آية 50] .

وقال تعالى: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ) [سورة الواقعة: آية 85].

وهنا يلتفت إلى الدنيا في أنسب الأوقات إلى الا لتفات أي هذا هو اليوم المعروض! ثم يأخذ ما ينتظر المكذبين بهذا اليوم، فتتم صورة العذاب الذي يلاقيه المترفون ويقول تعالى :

(ثمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ) ا[سورة الواقعة : آية 52] .

وهذا اللفظ نفسه يصور بجرسه ملمسا خشنا شائكا مدببا يمزق الأيدي، يقول الطاهر بن عاشور عن هذا الموقف: هو تعليل لما جرى عليه ما يلاقيه أصحاب الشمال من العذاب بما كانوا عليه من كفران النعمة، والمقصود من ذلك وعيد المشركين وكان إنكارهم البعث أدخل في استمرارهم على الكفر أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخاطبهم بتحقيق وقوع البعث وشموله لهم ولجميع

1أبو القاسم بن عمروا بن أحمد الزمخشري جار الله، (538 ه) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 ، 1407 ه،ج4 ، ص 145 .

2سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق ،ج5ً ص 30

الناس، أي أنبئهم بأن الأولين والآخرين، أي هم وآباءهم يبعثون عند الله ، فقد انتهى الخبر عن حالهم يوم ترج الأرض وما يتبعه[1]

ثالثا: مشهد النعيم والعذاب يوم القيامة:

ذكر القرآن الكريم عدة مواضع تتحدث عن أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار، وفصل في ذلك عن مشاهد يوم الحشر والعرض عن الله عز وجل ويوم الحساب والميزان، ومشاهد النعيم والجنة والعذاب والنار في الآخرة، وتختلف هذه المشاهد حسب ذكرها في الآيات طولا وقصرا، إيجازا وإطنابا وكل هذه المشاهد واضحة ويغلب عليه طريقة العرض والحوار.

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) [سورة محمد : آية 15] .

ـ يقول محمد علي الصابوني : في صفة أهل الجنة الغريبة العجيبة الشأن ، التي وعد الله بها عباده الأبرار وأعدها للمتقين الأخيار ، فيها أنهار جاريات من ماء غير متغير الرائحة ، قال ابن مسعود أنهار الجنة تتفجر من جبل من مسك ، وأنهار جاريات من حليب في غاية البياض والحلاوة والدسامة ، ولم يحمض بطول المقام ولم يفسد كما تفسد ألبان الدنيا ، وأنهار جاريات من خمر لذيذة الطعم يتلذذ بها الشاربون ليست كخمر الدنيا كريهة لا يتلذذ بها إلا فاسد المزاج ، وأنهار من عسل مصفى في غاية الصفاء وحسن اللون والريح[2] ، ثم ذكر (كمن هو خالد في النار وسقوا ماءا حميما فقطع أمعاءهم)، أي مخلد في الجحيم ، وهي صورة حسية عنيفة من العذاب ، تتناسب جو سورة القتال وتتناسب مع القوم ، فلم يكونوا في الدنيا سواء ، لا في الحال ولا في المنهج ولا في العقيدة فطبعا لن يكون جزاءهم نفس الجزاء ، ولن تكون حالتهم في الآخرة نفس الحال . وأخيرا إما جنة أو نار خالدين فيها.[3]

1 التحرير والتنوير ، مرجع سابق ص308.
2صفوة التفاسير مرجع سابق, ص..193
3نفس المرجع ، ص .194

الفرع الثالث: ـ ومن مظاهر التصوير الفني: (ألوان البيان في آيات القران)

مظاهر التصوير الفني كثيرة فمنها الكلمة والآية والإيقاع والفاصلة والقصة وسأقتصر على بعضها.

1 ـ الكلمة:

إن الكلمة انبعاث لصورة ذهنية ينتجها الفرد تمثل كثافة ايجابية ودلالية هامة لمفاتيح الصورة المرادة ولعل هذا ما عبر عنه بكري شيخ امين من خلال ثلاث سمات للكلمة الاولى: جمال وقعها في السمع، والثانية انتسابها في المعنى، والثانية اتساع دلالتها وهو مالا يتوفر مجتمعا ولا مطردا الا في القرآن الكريم: ومثال ذلك يرتقب في قوله تعالى: فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ 18 [سورة القصص : آية 18] .إذ ترسم هذه اللفظة صورة الخوف المتلفت[1]

معنى الكلمة: يقول الطاهر بن عاشور: يترقب لأن ترقية يشتمل على الدعاء إلى الله بأن ينجيه [2].

2-الآية : هي سر من أسرار الذوق البلاغي والإعجاز القرآني ومظهر من مظاهر التصوير الفني، إنها الوحدة التي يتألف منها النظم القرآني، ولهذا فقد تكون الآية جملة تامة، وقد تكون جزء من الجملة، أي أن الجملة تتألف من عدة جمل متعددة:

ومثال ذلك قوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) [سورة الليل :الآية 6].

الآية جملة واحدة تامة ومستقلة: كقوله تعالى (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) [سورة المدثر : آية 6] ، الآية الواحدة تتكون من عدة جمل متعاطفة ومتداخلة:

وها النوع في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير ٌ) [سورة الحجرات : آية 13] .

من جماليات الإستعارة والتشبيه والكناية في القرآن الكريم:

1المشاهد التصويرية في النص القراني ،دراسة في الانفعال النفسي ،حمادي ربيعة باحثة دوكتوراه قسم اللغة والادب العربي كلية الاداب واللغات ،جامعة سطيف 02-الجزائر ص363

2التحرير والتنوير ، ص96

أولا: الاستعارة: هي ضرب في المجاز اللغوي يتكون من طرفين (المشبه والمشبه به) وهي مجاز يقوم على علاقة المشابهة بين المستعار منه والمستعار له وهي رفع الشيء وتحويله من مكان الى آخر يقول الجرجاني في تعريفه للاستعارة (يقول أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا تدل على الشواهد على أنه اختص به الوضع ، ثم يستعمله الشاعر في ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم ، فيكون هناك العارية)[1].

ولديها عدة تعريفات عند العلماء القدامى والمحدثين، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ 154)

[سورة الاعراف : الآية 154] .

هنا جاءت قصة موسى بغرضها الديني ، لأنه عمد التعبير القرآني إلى التشخيص ، حيث شخص الغضب فكأنما هو حي هو مسلط على موسى ، يدفعه ويحركه حتى إذا سكت عنه وتركه لشأنه ، عاد موسى لنفسه فأخذ الألواح التي كان قد القاها بسبب دفع الغضب له وسيطرت عليه ، لقد شبه الغضب بالإنسان الثائر الغاضب ، وحذف المشبه ، ورمز له بشيء من لوازمه (السكوت) وهذه الاستعارة الفريدة فوق مقدور البشر ، إذ نظمها تنبعث منه لطائف وأنوار لا يدركها إلا من تذوق حلاوة القرآن ، إنها تجسم الغضب ، وتلبسها ثوب الإنسان الآدمي ، وتخلع عليه أوصافه ، إنها تصوره وكأن إنسان يدفع موسى ويحثه على الانفعال والثورة ، ثم يسكت وكف عن دفعه وتحريضه .[2]ومثال آخر قوله تعالى : (وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ) [سورة يس : الآية 37] .هو يأخذ الشبه من الأشياء المحسوسة مثلها ، إلا أن الشبه مع لك عقلي فالمستعار له خروج النهار من ظلمة الليل وهو أمر محسوس ن والمستعار منه ظهور المسلخ من جلدته وهو أمر محسوس أيضا ووجه الشبه شدة الاتصال بينهما (أي المحسوس بالمحسوس)[3].

كذلك من جماليات الاستعارة تعددت النعم المذكورة في القرآن الكريم التي أعدت للذين أمنوا وعملوا الصالحات، وتنوعت آيات النعيم التي غلب عليها التصوير الحسي وظهر فيها جمال الصورة (ولهذا

1عبد القادر بن عبد لرحمان الجرجاني، تح عبد الحميد هنداوي، أسرار البلاغة في علم البيان، دار النشر الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1، 1422، 2001م ص21

2مزغيش يمينة ، جمالية التصوير المدهش في الخطاب القصصي القرآني ، مجلة العلوم الانسانية ، مجلد 32 ، جامعة الاخوة منصوري ، قسنطينة الجزائر2021 ، ص 507

3عبد القاهر الجرجاني، مرجع سابق ،اسرار البلاغة في علم البيان ص54

يجعل المشهد المحسوس حيا متحركا وبارزا مشخصا ، وتتظافر المستكن خلف المشهد فتخفق القلوب وتتشوق الأرواح وتسري في النفس الطمأنينة ويشيع سكون القلب ، وذلك كلما خطر على القلوب خاطر الجنة ومشاهدها البالغة الروعة.

ومن جماليات التشبيه في القرآن الكريم:

يؤكد أرباب الفصاحة والبيان ما للتشبيه من قدرة على بناء واقع يقوم على الربط بين طرفين متقابلين يشتركان في صفة ،و حالة بأداة ملحوظة أو ملفوظة من لا تخلو من روعة وجمال ووقع حسن في النفس، كيف لا هو يقوم على تقريب المعنى البعيد الى الأفهام ويزيد من وضوح وجلاء صورته.

ونذكر مثالين في هذا الباب: المثال الأول قوله تعالى: (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ 31) [سورة القصص : آية 31] .

وهو بكامل أركانه المشبه (العصا)المشبه به (الجان)اداة التشبيه (كان)يقول سيد قطب في الضلال (وأن ألق عصاك وألقى موسى عصاه إطالة لأمر مولاه ولكن لماذا؟ إنها لم تعد عصاه التي صاحبها طويلا، والتي يعرفها معرفة اليقين، إنها حية تدب في سرعة ، وتتحرك في خفة وتتلوى كصغار الحيات، وهي حية كبرى :(فلما رآها تهتز كأنها جان ....) إنها المفاجأة التي لم يستعد لها، مع الطبيعة الانفعالية ، التي تأخذها الوهلة الأولى (ولى مدبرا) ولم يفكر في العودة إليها ليتبين ماذا بها ،وليتأمل هذه العجيبة الضخمة ،وهذه هي سمة الانفعاليين البارزة في موعدها [1].

وهذا مثال آخر عن التشبيه في القرآن الكريم:

قوله تعالى (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة يونس الآية 24] .

1 سيد قطب، في ضلال القران مرجع سابق ص 26-91.

ـ يقول سيد قطب في الضلال : ذلك مثل الحياة الدنيا التي لا يملك الناس إلا متاعها حين يرضون بها ويقفون عندها، ولا يتطلعون منها إلا ما هو أكرم وأبقى[1].

هذا هو الماء ينزل من السماء وهذا هو النبات يمتصه بعد الإطالة في عرض مشهد الخصب والزينة والاطمئنان، وهذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس ويطيعون الآخرة كلها لينالوا منها بعض المتاع لا أمن فيها ولا اطمئنان ولا ثبات فيها ولا استقرار ولا يملك الناس من أمرها شيء إلا بمقدار وهذا المشهد يمثل غرور الحياة الدنيا وبريقها ولا ألاءها الذي ينطفئ في لحظة، وأهلها مأخوذون يزخرفها غافلون عن المصير الخاطف الموهوب ثم يقول الله تعالى :

(وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ 25) [سورة يونس : آية 25] .

ومثال آخر (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [سورة العنكبوت 41] .

فهم عناكب ضئيلة واهنة تأوي من حمى هؤلاء الإلهة أو أولياء إلى بيت كبيوت العنكبوت أوهن واضال، وأن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعملون) ولكنهم لا يعلمون حتى هذه البديهية المنظورة فهم يضيفون إلى الضعف والوهن ،جهلا وغفلة حتى لا يعجزون عن إدراك البديهي المنظور أي يريد أن يجسم ضعف هؤلاء الالهة أو الأولياء من دون الله عامة ، ووهن الملجأ الذي يلجأ إليه عبادهم حين يحتمون بحمايتهم فيرسم لهذا كله صورة مزدوجة.[2]

ثالثا: الكناية

الكناية عند محمود سيد شيخون في اللغة، مصدر قولك: كنيت كذا وكذا، وكنوت إذا تركت التصريح به.

أما في الاصطلاح: فهي اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى نحو: محمد طويل النجاد، فالمعنى الحقيقي لهذا اللفظ هو (إن نجاد محمد طويلة) وليس هذا مرادا وإنما المراد لازم هذا

1مرجع سابق ، سيد قطب، ص1478.
2التصوير الفني سيد قطب ص42

المعنى وهو أن محمدا طويل القامة إن يلزم عادة من طويل النجاد أن تكون القامة طويلة ويصح مع هذا إرادة المعنى الحقيقي أيضا بان يراد المعنيان معا، طول النجاد وطول القامة.

ونوضح ذلك أن المتكلم قد يريد إفادة معنى من المعاني فلا يذكره بلفظ الصريح الذي وضع له في أصل اللغة .[1]

والكناية عند الحافظ جلال الدين : هي لفظ لازم معناه قصد مع جواز قصده معه يراد .[2]

والكناية لها أسباب وأنواع عدة: ونذكر من أمثلة ذلك قوله تعالى: (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) [سورة المسد الآية : 4]. يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية كانت زوجة أبي لهب وتدعى أم جميل ، وهي أخت أبي سفيان كانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده ، فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم ، يعني تحمل الحطب وتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه ، وهي مستعدة لذلك .[3]

والمعنى الحقيقي والمجازي إن كان حمل الحطب كناية عن حمل الشر والسعي بالأذى والوقيعة ، وفي هذا الأداء التعبيري الرائع تناسق دقيق ملحوظ للسورة ، أي تناسق اللفظ ، وتناسق السورة ، فجهنم نار ذات لهب ، يصلاها أبو لهب وامرأته تحمل الحطب وتلقيه في طريق محمد عليه الصلاة والسلام لإيذائه (بمعناه الحقيقي والمجازي) وهكذا يلتقي تناسق الجرس الموسيقي ، مع حركة العمل الصوتية ، بتناسق السورة ، وهي تحمل الحزم الحطب بحبل ، فعذابها في النار ذات لهب أن تغل بحبل من مسد ، ليتم الجزاء من جنس العمل ، وتتم الصورة بمحتوياتها الساذجة ، الحطب والحبل ، والنار واللهب و يصلى به أبو لهب وامرأته حمالة الحطب ، تناسق اللون في جرس الكلمات مع الصوت الذي يحدثه ضد أحمال الحطب وجذب العنق بحبل من مسد تجد فيها عنق الحزم والشد ، الشبيه بحزم الحطب وشده ، والشبيه بجو الحنق والتهديد الشائع في السورة ، وجزئياتها المتناسقة ، بتناسق الجناس اللفظي ومراعاة النظير في التعبير ، وتتم كل هذا في سورة قصيرة من سور القرآن الكريم .

1درة النفيسة، كلية العلوم الإنسانية رسالة الماجيستير ، لكناية في القرآن الكريم (دراسة تحليلية بلاغية) ص33[1]

2الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، شرح عقد الجمان علم المعاني والبيان. ص.130

3تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ج7 ، دار الأندلس، ط3، 1401ه ، 1981 م، ص 400

وتوجد عدة أمثلة من أساليب القرآن في الكناية، وقد اقتصرت على ذكر مثال فقط لتوضيح ذلك

خلاصة المبحث

لقد تناولت في هذا المبحث تعريفا عن التصوير الفني ومعرفة المنهج الذي اتبعه العلماء قديما وحديثا ثم انتقلت الى ذكر بعض مظاهر التصوير الفني، وتحصلت على النتائج التالية: وما استنتجته من مظاهر التصوير الفني: أن سيد قطب لم يكن يستخدم الخيال الحسي والتشخيص والتجسيم كأدوات جمالية فقط، بل جعلها أساسا لفهم أعمق للصراعات النفسية والفكرية التي كانت في صميم أعماله، وهذه الظواهر البلاغية ساعدت على تحويل الأفكار المجردة إلى تجارب مؤثرة ومفعمة بالحياة، مما جعل كل أعماله أدبية وفكرية في ذات الوقت.

- والخيال الحسي يستخدم لتوصيل الفكرة، حيث يصف الصراع الداخلي باستخدام الصورة الحسية بحيث يشعر القارئ بما يشعره البطل أو الشخص في الرواية، والخيال الحسي ليس مجرد أداة جمالية، بل أداة تعبر عن الصراع النفسي والروحي معا.
- وتدل مظاهر التصوير الفني عن إعجاز القرآن والتعبير عن جمال ودقة نظم القرآن.
- جمال وروعة التصوير الفني عند معرفة الخصائص والمظاهر مثل :(التجسيم والتخييل والتشخيص لفهم القرآن الكريم من منظور جمالي رائع وهذا ما زاد في رونقة ودقة الفهم.

ومن الأساليب الجمالية التي ألحقتها في هذا المبحث، الاستعارة والتشبيه والكناية لأنها من الأساليب المهمة التي تزيد الموضوع رونقا وجمالا، وهي تساعد على توضيح الفكرة وإيصالها بطريقة مؤثرة وقوية وتجعل القارئ يتخيل المشهد أو المعنى على حقيقته وكأنه يعيشه، مما يضيف متعة ذهنية وجمالية النص.

المبحث الثالث:

أثر الحوار في التصوير الفني في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

المطلب الأول : حوار سيدنا ابراهيم مع ابيه

المطلب الثاني : حوار سيدنا ابراهيم مع قومه :

المطلب الثالث : حوار سيدنا إبراهيم مع النمرود

خلاصة المبحث

المبحث الثالث: أثر الحوار في التصوير الفني في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

تمهيد :

هو إبراهيم بن تارخ بن ما حور بن ساروغ بن راعوا بن فالغ بن عاير بن شالخ بن ارفخشن بن سام ابن نوح عليه السلام ، وهذا مكتوب في كتبهم ، وحكى الحافظ بن عساكر في ترجمة إبراهيم الخليل ، كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان قالوا ، ولما كان عمر تارخ خمسا وسبعين سنة ، ولد له إبراهيم عليه السلام وناحور وهاروون وإبراهيم هو الأوسط [1]، ينسب إبراهيم الخليل عليه السلام إلى أبيه آزر الذي كان يعبد وقومه الأصنام ، وكانوا ينعمون برغد العيش الوفير ، وظلال نعم لا تعد ، ولكنهم كانوا يتخبطون في دياجير الظلام ، يصنعون الأصنام بأيديهم ثم يتخذونها أربابا من دون الله ، ويعكفون على عبادتها [2] فقد فطن منذ صغره إلى بطلان عبادة قومه ، وإلى عدم نفع الأصنام شيئا لأنها من حجر وخشب ، لا تسمع ولا تتكلم ولا تشعر ولا ترى فكيف يعبدونها وبقي إبراهيم عليه السلام حائرا متعجبا مما يراه من قومه وليردهم إلى حظيرة الإيمان والتوحيد [3]، فقال تعالى :(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْل) [سورة الانبياء : آية 50].والقرآن الكريم ذكر لنا كل مراحل حياته ، سنجه شابا في السادسة عشرة من عمره ، وسنرى ماهي أفعاله ، وماهي إهتماماته ، وكيف تصرف ، وكيف ألقي في النار وعمره ستة عشرة سنة ، والهدف الرئيسي من هذه القصة ، لها أهداف خاصة، هدف قصص كل الأنبياء السابقين ، بالتقليد والإتباع وهو النبي الوحيد الذي جاء بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبيء والذين آمنوا والله ولي المومنين) [سورة آل عمران : آية 68][4]

ومن حوارات سيدنا إبراهيم مع الله عز وجل حين قال : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الموتىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بلى ولكن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم) [سورة البقرة :آية 260] .

1عمرو خالد ،قراءة جديدة ورؤية في ، قصص الانبياء ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط7 ،1432هـ 2011م ، ص 235.
2عمر محمد بابا ، من قصص الأنبياء، د ط ، د ت ، شمس الهدى والإيمان ، ص 3
3عبد الرحمان ماردیني ، عبد الرزاق كيلوا ، قصص الأنبياء ، دار المحبة دمشق ، ط1 ، 2005، 2006 ، ص7.
4مرجع سابق ، عمرو خالد قصص الأنبياء ، ص213.

طلبه أن يريه الله كيفية إحياء الموتى وهذا لا يعني قلة إيمانه أو ضعف ثقته بالله تعالى وإنما أراد أن يفحم نفسه بالدليل القاطع على قدرة الله ويقضي على شكه ، فالنفس البشرية تميل إلى الشك دون اليقين والله

ـ في هذه الآية لما حاور إبراهيم ربه ، يقال أنه أشار سبحانه بالأربعة من الطير إلى القوى الأربعة التي تمنع العبد عن مقام العيان وشهود الحياة الحقيقية ، ووقع في الأثر أنها كانت طاووسا إشارة إلى العجب ، و والديك إلى الشهوة ، والغراب إلى الحرص ، والحمامة على حب الدنيا لإلفها الوكر والبرج ، وفي أثر بدل الحمامة بطة ، وفي آخر نسر ، وكأن الأول إشارة إلى الشره الغالب ، والثاني إلى طول الأمل ، ومعنى فصرهن إليك حينئذ ضمهن وأملهن إليك ، أي : بضبطها ومنعها الخروج على طلب لذاتها والنزوع إلى مؤلفوها .[1]

نلاحظ أن النداء دون أداة أي : قال ربي ولم يقل يارب قيل أن الياء تذكر للبعيد ، بينما إبراهيم كان على دراية من أن الله قريب إليه فأجابه قال : أولم تؤمن فالله عزو وجل رؤوف رحيم بنبيه ولم يغضب ، وإنما سأله عن إيمانه فأجابه ولكن ليطمئن قلبي فهو لم ينكر إيمانه ولكن زيادة في اليقين.[2]

أما الحوارات الأخرى فسأذكرها بالتفصيل في هذا المبحث وأبين كيف صورها سيد قطب مستعينا بكتب التفسير الأخرى.

المطلب الأول: حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

لقد بعث الله عزوجل النبي إبراهيم عليه السلام إلى قومه وأهله أهل حران وجدهم يعبدون الكواكب والأصنام ، وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارا ، سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام ، كما ذكرت سابقا ، وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور، وأبطل به ذلك الضلال ، قال الله تعالى في محكم تنزيله وقد آتاه رشده في صغره وبعثه رسولا وأتخذه خليلا في كبره فقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ)[سورة الأنبياء آية 56] .

1 شهاب الدين محمود بن عبد الله ، الحسيني الألوسي و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تح عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1، 1415 ه ، ص31.

2ينظر، نفس المرجع ، ص32

أي أهلا لذلك ، وتعد قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام الثانية ذكرا بعد قصة سيدنا موسى عليه السلام ، وتحتوي قصة إبراهيم عليه السلام على أثر بالغ للمتلقي ، سماعا أو قراءة تستقطبه وتجذبه عن طريق التنوع الحواري وبأساليب جمالية.

قيل في فضل سيدنا إبراهيم عليه السلام من الله عز وجل: أنه خليل الرحمان وقبل ذلك هو أبوا الانبياء أي هو الحب الذي تخلل الروح وصرف الجسد حتى والقلب لا يستطيعون مفارقته، رضي الله عنه فأصبح خليلا للرحمان من شدة إرضاءه له، فمعنى خليل الرحمان هل انه يحب الله ؟ فحب الله تخلل روح وقلب سيدنا إبراهيم عليه السلام فصار من شدة حبه لله أن الله اتخذه خليلا .[1]

الفرع الأول : حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، والتدرج في الدعوة.

كان والد إبراهيم عليه السلام في مقدمة عابدي الأصنام، بل كان ممن ينحتها ويبيعها وقد عز على سيدنا إبراهيم فعل والده الذي هو أقرب الناس إليه فرأى من واجبه أن يخصه بالنصيحة وأن يحذره من عاقبة الكفر، فخاطبه بلهجة تسيل أدبا ورقة، مبينا بالبرهان العقلي بطلان عبادة الأصنام.[2]

فقال تعالى :(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا) [سورة مريم: آية 41] .

أي أذكر يا محمد في الكتاب العزيز خليل الرحمان إبراهيم عليه السلام أنه كان ملازما للصدق مبالغا فيه، جامعا بين الصديقية والنبوة والغرض تنبيه العرب إلى فضل إبراهيم الذي يزعمون الانتساب إليه ، ثم يعبدون الأوثان مع أنه أمام الحنفاء وقد جاء بالتوحيد الصافي الذي دعاهم إليه خاتم المرسلين .[3]

قال تعالى: إ(ذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا) [سورة مريم : آية 42] ، ناداه متلطفا بخطابه مستمليا له نحو الهداية والإيمان، أي لم تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر، ولا يجلب لك نفعا ولا يدفع عنك ضرا وقال تعالى:(يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) [سورة مريم : آية 43] .

1 مصدر سابق، ص 222 .
2سلسبيل هلال ، جماليات التنوع الحواري في قصة إبراهيم علية السلام ، مجلة لغة الكلام ، جامعة غليزان الجزائر ، ت 15-04-2024منصة المجالات العلمية ، ص179.
3صفوة التفاسير ، الصابوني ص200 .

كرر له النصح هنا باللطف ولم يصف أباه بالجهل أبدا في عبادته للأصنام وإنما ترفق وتلطف في كلامه، أي جاءني من العلم من الله مالم يأتك ومالا تعلمه أنت في قوله تعالى:(فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) [سورة مريم :آية 43] ، أي أقبل نصيحتي أرشدك إلى الطريق المستقيم ، وهو دين الله عزوجل الذي لا اعوجاج فيه، ثم قال تعالى: (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا) [سورة مريم : آية 44]. أي لا تطع أوامر الشيطان في الكفر وعبادة الأصنام في قوله: إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا) و أن الشيطان كان عاصيا للرحمان متكبرا على عبادته [1]ثم قال :(يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) [سورة مريم : آية45] .

تحذير له من سوء العاقبة والمعنى أخاف من أن تموت على كفرك، فيحل بك عذاب الله أليم ، وتكون قرينا للشيطان بالخلود في النيران ، قال الإمام الفخر المراد الكلام بلفظ (يأبت) دليل على شدة الحب والرغبة في صونه من العقاب وإرشاده إلى الصواب لتحريك مشاعر والده يقول الزمخشري : أنظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع رتب الكلام في أحسن اتساق وانسجام باستعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والآداب والاحترام الجميل .[2]

الفرع الثاني : أدب الحوار مع والده باللطف و اللين

ـ يقول عبد الرحمان ساغور في تقسيم آداب الحوار في قصة إبراهيم مع أبيه إلى ثلاثة أقسام التلطف في الخطاب ، وذلك من خلال الكلمة الطيبة وعفة اللسان والأخذ بالرفق والإحسان وسعة الصدر وإقامة الأدلة في فكرة المحاور ثم قال :(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) [سورة مريم: آية 50] .

أي أتارك يا إبراهيم عبادة آلهتي ومنصف عنها؟ الاستفهام والتعجب لإنكار عبادة الأوثان .

ـ يقول البيضاوي : قابل أبوه باستعطافه ولطفه في الإرشاد بالفضاضة وغلظة العناد ثم هدده في قوله : (لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ[سورة مريم : آية 50] .أي لئن لم تترك شتم وعيب آلهتي لأرجمنك بالحجارة في قوله: وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) [سورة مريم: آية 51] ، وهذه من الغلظة والشدة في الكفر وشدة العصيان أيضا .أهجرني دهرا طويلا وهذا هو شأن الكفر مع الإيمان والقلب المفسد بالطغيان والعياذ بالله[3] .

1المرجع السابق ، صفوة التفاسير ، ص 222.
2الزمخشري ، مرجع سابق ، ص179.
3ينظر ، البيضاوي ، ص12

قال: (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) [سورة مريم : آية 55] .

وهذا جواب سيدنا إبراهيم عليه السلام أما أنا فلا ينالك مني أذى ولا مكروه ولا أقول ما يؤذيك لحرمة الأبوة، وسأسأل الله أن يهديك ويغفر لك ذنبك. (إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) [سورة مريم :آية 47] .

أي مبالغ في اللطف والاعتناء بشأني وأخير قال لهم بشأني، وأخيرا قال لهم في قوله تعالى:

(أَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) [سورة مريم: آية 48] . وهنا في هذا الموقف يبين شدة صبر سيدنا إبراهيم عليه السلام في الدعوة .

أي أترككم وما تعبدون من دون الله (الأوثان) وأهجركم ، وأرتحل من دياركم (وأدعو ربي) مخلصا له في العبادة عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا : أي راجيا بإخلاصي في العبادة له وألا يجعلني شقيا.[1]

الفرع الثالث : النصح بالحكمة و الترسيخ الدعوة بالتوكيد

تظهر هنا شخصية سينا إبراهيم إستعمل أسلوب النصح ، وهو مشهد هادئ ومتزن متودد إلى والده، مصحوبا باللين يصوره أسلوب النداء المتكرر(يأبت) من أجل توكيد الدعوة وترسيخها .

ـ يقول سيد قطب : على أن هناك نوع من الموسيقى الداخلية يلحظ ولا يشرح في وزن واحد وقافية واحدة وهكذا تبتدئ تلك الموسيقى الداخلية في بناء التعبير القرآني موزونة بميزان شديد الحساسية ، تمليه أخف الحركات والاهتزازات ولو لم يكن شعرا ولم يكن يتقيد بقيود الشعر كثيرة ، التي تحد من الحرية الكاملة في التعبير الدقيق عن القصد المطلوب ، أما تنوع هذا النظام في السورة الواحدة ، فقد لاحظنا في الفاصلة والقافية ،لا يتغيران لمجرد التنويع ، وقد تبين في بعض المواضع سر هذا التغيير وخفي علينا السر في مواضع أخرى ، فلم نرد أن نتحمل له لتثبت أنه ظاهرة عامة كالتصوير والتخييل و التجسيم والإيقاع [2]. "والتوكيد من الأساليب المؤثر ة في ترسيخ الدعوة لذلك يجب توظيفه ، والنصيحة بالحكمة. "

1 المرجع السابق، ص 179.
2 ينظر ، سيد قطب ، التصوير الفني ، مرجع سابق ، ص203.

ـ تناول سيد قطب في كتابه التصوير الفني حوار سيدنا إبراهيم مع أبيه آزر مبرزا الأسلوب الفني الذي استخدمه التناسق الفني في تصوير هذا الحوار يظهر القرآن إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب والده بلغة رقيقة ومؤثرة، محاولا إقناعه بترك عبادة الأصنام، معبرا عن مشاعره اتجاهه بأسلوب دقيق فني متمي[1]

ـ وقال البخاري: (حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصيني ؟ فيقول له أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الابعد، فيقول الله أني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذبح متلطخ فيؤخذ بقوامه فيلقى في النار). هكذا رواه في قصة إبراهيم منفردا [2]. هنا نرى أسلوب سيدنا إبراهيم الذي تميز به وهو الجمال والتلطف مع والده رغم قساوته وعناده إلا وكان ثابتا قويا في رسالته متأدبا معه في حواره مع والده، وقد وصفه الله عز وجل في كتابه: (من أولي العزم من الرسل: أي من أكثر الأنبياء تعرضا للمواقف العصبية، وجاهدوا في الله أقوى جهاد في سبيل الله[3].

المطلب الثاني: حوار إبراهيم عليه السلام مع القوم .

وصف المولى عزوجل حال نبيه إبراهيم عليه السلام في عدة آيات في القرآن الكريم مواجهة دعوية مع قومه أسوة بأخيه نوح عليه السلام.

قال تعالى: (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ..... الى

قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) [سورة العنكبوت :آية من 16الى 27] .

الفرع الأول: دعوة إبراهيم عليه السلام قومه إلى توحيد الله عز وجل .

1المرجع السابق، ص204.

2 أخرجه البخاري في (60) كتاب الأنبياء ، باب قول واتخذ الله إبراهيم خليلا، (الحديث 3350)

3قصص الانبياء ، عمرو خالد، ص222.

ـ يقول علي الصابوني إن إبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في التقوى، وطلب الرزق منه وحده عبادة الله تقواه خير لكم من عبادة الأوثان أن كنتم تعلمون الخير والشر وتفرقون بينهما في قوله: (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [سورة العنكبوت: آية 17] .أي أصناما تعبدونها لا تنفع وهي من حجارة صنعتمها بأيديكم.... فاطلبوا من عند الله الرزق وحده فهو القادر، وحصوه وحده بالعبادة واخشعوا واخضعوا له واشكروه على نعمة التي أنعمها عليكم.[1]

الفرع الثاني: استخدام أسلوب التدرج لإثبات أن الكواكب لا تصلح آلهة.

قال تعالى :(وكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) [سورة الانعام : آية74] ، وهذا المقام مقام مناظرة لقومه وبيان لهم أن هذه الإجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للألوهية ولا أن تعبد مع الله عزوجل لأنها مخلوقة مربوبه مصنعة مدبرة مسخرة تطلع تارة وتافل أخرى فتغيب عن هذا العالم والرب تعالى لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية بل هو الدائم الباقي بلا زوال لا اله الا هو ، ولا رب سواه فتبين لهم أولا عدم صلاحية الكواكب ، قيل هو الزهرة ، لذلك ثم ترقى منها إلى القمر ، الذي هو أوضأ منها وأبهى من حسنها ، ثم ترقى إلى الشمس التي هي أشد الإجرام المشاهدة (ضياء ، وسناء ، وبهاءا فتبين أنها مسخرة ميسرة مقدرة.[2] قال تعالى:(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) [سورة الأنعام: آية 78] .

ـ ويقول الطبري في تفسيره (ملكوت السماوات والارض) قيل آيات السماوات والأرض وقيل تفرجت له السماوات السبع والأرضون السبع حتى نظر فيهن إلى ملك الله وقدرته وليعلم حقيقة ماهداه الله له[3]. "نرى هنا شخصية سيدنا إبراهيم المثالية وأنه يحاول أن يتطلع إلى اليقين للبحث عن الخالق الأعظم ."

1 صفوة التفاسير ، مرجع سابق ،ص418 .
2ابي الفداء اسماعيل بن كثير ،قصص الانبياء ،تحقيق ع القادر يعرب ،دار الكتاب والحديث ،د ،ط، القاهرة ص113 2
3ينظر، تفسير الطبري ، ص150.

وقال تعالى:(۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ) إلى قوله (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) [سورة الأنبياء : من 51 إلى 70] .

ـ ويقول صاحب الضلال سيد قطب: ولقد آتينا إبراهيم رشده أي كنا عالمين بحمل الأمانة التي يحملها المرسلون وسمى الأحجار والخشب (تماثيل) ولم يقل أنها آلهة.

واستنكر أن يعفوا عليها بالعبادة وكلمة عاكفون أي : تفيد الإنكباب الدائم المستمر وهم لا يقضون وقتهم كله في عبادتها، ولكنهم يتعلقون بها فهو عكوف معنوي لا زمني، وهو يسخف هذا التعلق ويشبعه بتصويرهم متكيين أبدا على هذه التماثيل، قالوا أجئتنا بالحق أم كنت من اللاعبين وهو سؤال المزعزع العقيدة الذي لا يطمئن إلى ما هو عليه ، فهو لا يدري أي الأقوال أحق والعبادة تقوم على اليقين لا على الوهم المزعزع.[1]

وكان الغرض من هذه الآيات هو بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة وأن استقبال قومهم لهم متشابه، فضلا على أن الدين واحد وأنه قائم على أساس واحد وبيان الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم بصفة خاصة ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة وإبراز هذا الاتصال أشد من الاتصال العام بين جميع الأديان فتكررت الإشارة إلى هذا في قصة إبراهيم وموسى عليهما السلام.

والغرض من الآيات أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين تنبيه بني آدم عليه السلام من غواية الشيطان وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأرقى وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسه في النفس تدعوا إلى الشر، وبيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة كقصة موسى مع العبد الصالح التي سنعرضها في قصة موسى عليه السلام وسيد قطب ركز على التصوير في القرآن لحالة إبراهيم حيويا يعكس الصراع بين الفطرة السليمة والضلال، كما أشار في القصة ، وحدة الرسالة الإلهية عبر الأزمان مشيرا إلى أن الدين واحد من عند الله وأن الأنبياء جميعهم أئمة يهدون بأمر الله.[2]

ـ يقول ابن كثير في تفسيره (ثم أقسم الخليل قسما أسمعه بعض قومه ليكدن أصنامهم أي ليحرص على أذاهم وتكسيرها بعد أن يولوا مدبرين أي إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون إليه قال السدي: لما

1سيد قطب الظلال ، ص2386.
2المصدر السابق ، ص 2387

اقترب ذلك العيد قال له أبوه: يا بني لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض ، وقال أنى سقيم [1]، فجعلوا يمرون عليه وهو حري فيقولون: مه فيقول أنى سق[2] جاز عامتهم وبقي ضعفاهم قال: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) [سورة الأنبياء: آية 57] .

فسمعه أولئك قال ابن اسحاق على أبي الأحوص عن عبد الله قال: لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مروا عليه فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ قال إني سقيم وقد كان بالأمس قال : (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم) [سورة الأنبياء: آية57] فسمعه ناس منهم.[3]

أما عن أسلوب التدرج في هذا الموضع هو تدرج في حواره لكي يصل إلى غايته وهدفه الذي رسمه بدا بالاستفسار، ثم بين حقيقة ما يعبدون من دون الله وبعد ذلك أراد أن يبرهن لهم عمليا على عجز الأصنام التي يعبدونها من دون الله ليصلوا إلى دليل الوحدانية، قال تعالى في سورة الشعراء قال تعالى : (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ) [سورة الشعراء : آية 70] .

نلاحظ عملية الاستدراج في الحوار انطلاقا من التساؤل ليصل إلى تحريك الفطرة السليمة ،سؤال يحرك الوجدان ولم يكن هذا الحوار إلا أسلوب الوعظ والإرشاد والتوعية من قبل نبي مرسل خائف على أهله من العذاب وأسلوب الوعظ (هو خطاب تأثيري يشغل على الحث على فعل المأمورات ، وترك المنهيات وحين قال تالله لأكيدن أصنامكم يظهر سيدنا إبراهيم حواره الداخلي في هذا القول على الرغم من أن القرآن الكريم لم يصرح أن هذا الكلام كان حوارا داخليا إلا أننا نفهمه من السياق القرآني ولا يخفى على القارئ نبرة الحزم والتوكيد التي تلف العبارة من أولها إلى آخرها ، فبدأ بلام القسم تليها نون التوكيد لأكيدن فلو أنه أطلعهم على خفايا صدره لما جرى الأمر على ما أراد وأقبل عليه ودبر له.[4]

فجمالية التبليغ في الرسالة يعادل جمالية تكوين اللغة الخاص أي: في أصواتها وكلماتها وتنظيمها ورغم هذا التحديد لجمالية اللغة إلا أن لغة الشعر تظل تجذب المتفوقين لها وتظل تراكيبها وموسيقاها

1تفسير ابن كثير ، ص584
2 نفس المصدر، ص586
3المصدر نفسه ، ص570 .
4مجلة سلسبيل هلال، جمالية التنوع الحواري ص180 .

تأسر الألباب إذا كان هذا السحر الأخاذ وهذا الأثر الجذاب في أي نص لغوي فكيف هو الحال بجمالية نص القرآن الكريم؟ .أكيد هو عظيم مثل قصة الوليد بن المغيرة خير دليل لذلك فلا نص يضاهي جمالية القرآن الكريم والحوار جزء بسيط منه[1]

قال تعالى: (قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) [سورة الانبياء : آية 61] .

أي في الملأ الأكبر على رؤوس الأشهاد لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه ويعاينون ما حل به من الاقتصاص منه وكان هذا أكبر مقاصد الخليل عليه السلام أن يجتمع الناس كلهم فيقيم على جميع عباد الأصنام الحجة على بطلان ما هم عليه. فلما اجتمعوا وجاؤا به كما ذكروا قال تعالى : (قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) [سورة الانبياء] ، قيل هو الحامل لي على تكسيرها، وإنما عرض لهم في القول (فسألوهم إن كنا ينطقون) وإنما أراد بقوله هذا أن يبادروا إلى القول بأن هذه لا تنطق فيعترفوا بأنها جماد كسائر الجمادات [2](فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ) [سورة الأنبياء: آية 64]

أي عادوا على أنفسهم بالملامة فقالوا إنكم أنتم الظالمون أي في تركها لا حافظ لها ولا حارس عندها. قال السدي: أي رجعوا إلى الفتنة فعلى هذا يكون قوله أنكم أنتم الظالمون (ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ) [سورة الأنبياء: آية 65] ، لقد علمت يا إبراهيم أن هذه لا تنطق فكيف تأمرنا بسؤالها فعند ذلك ؟ قال لهم الخليل عليه السلام : (أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ) [سورة الأنبياء: آية 66] .يصور القرآن الكريم شخصية إبراهيم بهجر عبادة الأصنام والشيطان كي ينجيهم من عذاب الله .تعبيرا عن حالته النفسية التي كان عليها.

ـ يقول الصابوني وهذا إقرار منهم بعجز الآلهة، وحينئذ توجهت لإبراهيم الحجة عليهم فأخذ يوبخهم ويعنفهم ، أف لكم أي قبح لكم ولأصنامكم التي عبدتموها من دون الله أفلا تعقلون قبح صنيعكم... وعجزوا عن الجواب وعدلوا إلى البطش والتنكيل فقالوا : أحرقوا إبراهيم بالنار .[3]

الفرع الثالث: المعجزة الإلهية .

1أبي الفداء اسماعيل بن كثير قصص الانبياء ، مرجع سابق ص116 .
2 نفس المرجع ، ص 117.
3علي الصابوني صفوة التفاسير ، ص 245 .

فلما غلبهم إبراهيم عليه السلام بالحجة البالغة القاهرة لم يجدوا مخلصا إلا بإهلاكه فاختار القوم أن يكون إهلاكه بالإحراق، ويريد الله تعالى أن يجعل من هذه الحادثة برهانا حقا، وشاهدا ساطعا على ألوهيته وربوبيته، وأنه وحده يقدر أن يتصرف بشؤون الكون وما فيه من قوانين وفق ما يشاء، فأمر الله عزوجل من علياه النار قائلا: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) [سورة الأنبياء : 69] .

ولعل أهم سمة لاحظناها من خلال قصة إبراهيم هي حاجته إلى الخالق وعناية الله عزوجل به ومده بالمعجزات مثل ما قال (۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) [سورة الأنبياء: آية 51] ، فقد أكرمه الله عز وجل بالرشد والمكانة العالية .

"من خلال هذه القصة نلاحظ الانسجام والتناسق الدقيق بين مقاطعها، فالمقطع الأول حول الإعداد والتسديد لنبوة إبراهيم عليه السلام، والمقطع الثاني الحوار المباشر بين نفسه وأبيه وبين قومه حول عقيدة التوحيد لينتهي الأمر في المقطع الثالث حيث جاء الخليل ليهدي الناس كافة إلى عبادة الخالق عزوجل".[1]

ـ قال أبو يعلى حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا إسحاق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن عاصم بن أبي النجود على بي صالح عن أبي هريرة : قال صلى الله عليه وسلم لما ألقي إبراهيم في النار قال : (اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك).[2]

وذلك أنهم شرعوا يجمعوا حطبا من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له حتى المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عفيت لتحملن حطبا لحريق إبراهيم ثم عمدوا جوبة عظيمة أي حفرة ،فوضعوا فيها الحطب وألقوا فيه النار فاضطمرت وتأججت والتهبت وعلالها شرر لم يرى مثله قط ، ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له هزن [3]، وكان أول من صنع المنجنيق فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها يوم القيامة ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك وقال حسبنا الله ونعم الوكيل ، كما رواه

1ينظر، فايزة بصلاجيه، الحوار في القصة القرآنية ابراهيم عليه السلام ، جامعه وهران مجلة افاق علمية ، المركز الجامعي لتمنراست الجزائر ص119.
2قصص الانبياء، اسماعيل بن كثير، ص 117.
3ابن جرير الطبري في جامع البيان الحديث ج 7 ص42.

البخاري في صحيحه.[1]" وهذه تبين لنا قدرة الله الإلاهية لأنبيائه ومعجزة ربانية خارقة للعادة لأنهم من المصادقين. "

وقال السدي: كان معه أيضا ملك الظل وصار إبراهيم عليه السلام في ميل الجوبة حوله النار وهو في روضة خضراء، والناس حوله ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول إليه لا هو يخرج إليهم، فعن أبي هريرة أنه قال أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم، قال لما رأى ولده على تلك الحالة قال : نعم الرب ربك يا إبراهيم.

ـ وقال أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن نافع أن امرأة دخلت على عائشة فاذا رمح منصوب فقالت ما هذا الرمح فقالت نقتل به الأوزاغ، ثم حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن إبراهيم لما ألقي في النار جعلت الدواب كلها تطفئ عنه إلا الوزغ فإنه جعل ينفخها عليه تفرد به أجمد من هذين الوجهين.[2]

ـ يقول سيد قطب في الظلال: (كوني) هي الكلمة التي تكون بها أكوان وتنشأ بها عوالم وتخلق بها نواميس، فلا تسأل: كيف لم تحرق النار إبراهيم؟ فالذي قال للنار كوني حارقة هو الذي قال لها كوني بردا وسلاما ، وهي الكلمة الجيدة التي تنا مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول مألوفا للبشر أو غير مألوف، وصفها سيد قطب بأسلوب أدبي عميق (كوني) بأنها الكلمة الإلهية مؤكدا أن الله عزوجل قادر على تحويل النار إلى برد وسلام دون أن يكون حرقا للنواميس الطبيعية، بل هو من حميم قدرته المطلقة ، وأشار عن كيفية حدوث ذلك هو من قبيل محاولة قياس أعمال الله بمقاييس البشر وهو منهج فاسد ، لأن أعمال الله لا تخضع لمقاييس البشر وعلمهم المحدود ، وأضاف أن هذا المشهد ليس مجرد معجزة تاريخية ، بل هو رمز يتكرر في حياة الأشخاص والجماعات والأمم ، حيث تتحول المحن إلى نعم بفضل الكلمة الإلاهية العليا .[3]

لاحظت في المطلب الثاني أن سيدنا إبراهيم صبر كثيرا مع قومه خاصة في عبادة الأصنام وقد استعمل معهم أسلوب الاستدراج لأنه هذا الذي يصلح لعقيدتهم، فقد وصفه الله عز وجل بصفات جميلة في القرآن الكريم: (وإبراهيم الذي وفى) [سورة النجم: آية 37] ، قيل أنه وفى بكل أمر طلبه الله منه

1 ينظر ، قصص الأنبياء، اسماعيل ابي الفداء ، ص120.
2الامام احمد في مسنده لحديث رقم 25885، ج 10 من مسند السيد عائشة رضي الله عنه.
3 سيد قطب، مرجع سابق، في ظلال القران ص 2387 3.

فسماه من الأوفياء، ما طلب الله منه شيء إلا وفى به في الطاعات والعبادات، وترك المعاصي والمنكرات[1] ، وقال تعالى : (كان أمة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين) [سورة النحل : آية 120] ، أي طاعته لربنا وعبادته تساوي أمة كاملة ، تطيع وترضي الله ، وكلمة حنيفا : أي بعيدة كل البعد عن الشرك ، وذكر القرآن صفة جميلة جدا اتصف بها سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وهي قوله تعالى : (عن إبراهيم : إن إبراهيم لحليم أواه منيب) [سورة هود : آية 75] . أي كثير التأوه من مخافة الله عز وجل، هكذا كان سيدنا إبراهيم في صفاته ورسالته عليه الصلاة وأزكى التسليم [2].

المطلب الثالث : حوار إبراهيم مع النمرود.

ذكر في القرآن الكريم الآيات التي تدل على مناظرة إبراهيم الخليل مع من أراد أن ينازع العظيم الجليل في العظمة ورداء الكبرياء، فأدعى الربوبية وهو أحد العبيد الضعفاء فقال تعالى في محكم تنزيله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [سورة البقرة آية 258.].

الفرع الأول: مناظرة سيدنا إبراهيم والنمرود.

يذكر الله تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى نفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام دليله وبين كثرة جهله وقلة عقله وألجمه الحجة وأوضح له طريق المحجة.

قال المفسرون وغيرهم من العلماء وهذا الملك هو ملك بابل واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وذكرو أن النمرود كان أحد ملوك الدنيا واستمر في ملكه أربعمئة سنة وكان قد طغا وبغا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه ابراهيم الخليل الى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال، وطول الآمال على إنكار الصانع فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى نفسه الربوبية.[3]

1ينظر، قصص الانبياء، مرجع سابق، عمرو خالد ص 225
2نفس المرجع، ص224.
3ابي الفداء اسماعيل بن كثير، مرجع سابق، قصص الأنبياء ص120 .

ـ يقول الطاهر بن عاشور: (ألم ترى مجازي متضمن معنى التعجيب وهذا استدلال مسوق لإثبات الوحدانية لله تعالى، وإبطال الإلهية غيره لانفراده بالإحياء والإماتة. [1] "هذا المشهد يوضح لنا إبطال حجة الطغاة مهما علت ، وإثبات التوحيد والحجة في صورة مدهشة عظيمة ."

أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة ويعيد الخصام بباطل في الأغلب فمعنى الذي حاج إبراهيم أنه خاصمه خصاما باطلا في شأن صفات الله رب إبراهيم [2] وهذا ما يدل على شدة المخاصمة والعناد.

الفرع الثاني: جحود النمرود وكفره

والذي حاج إبراهيم كافر لا محالة، لقوله تعالى: (فبهت الذي كفر) واسمه النمرود كما ذكر في قوله وقد آتاه الله الملك وهو معجب بنفسه وجوز صاحب الكشاف أن يكون تعليلا غائيا أي حاج لأجل أن الله آتاه الملك فللام هنا استعارة تبعية لمعنى يؤدي بحرف غير اللام والداعي لهاته الاستعارة التهكم، أي أنه وضع الكفر موضع الشكر لأنه كان أول ملك في الأرض وأول من وضع التاج على رأسه.[3]

وقد دل على أن إبراهيم أول من بدأ بالدعوة للتوحيد واحتج بحجة واضحة يدركها كل عاقل وهي أن الرب الحق هو الذي يحي ويميت، وقد جاء بمغالطة وغرور عن جهل في الإحياء والإماتة، وقد عدل إبراهيم عن الاعتراض بأن هذا ليس من الإحياء والإماتة المحتج بها، ومنه البهتان وهو الكذب الفظيع الذي يبهت سامعه وحوصلة الحجة (والله لا يهدي القوم الظالمين).

ـ ويقول الطبري في تفسيره لقوله فبهت الذي كفر أي انقطع وبطلت حجته.[4] الجحود يؤدي إلى السقوط

الفرع الثالث: النتيجة والخاتمة

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلا آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه (فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات من المغرب) أي هذه الشمس كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها ، وهو خالق كل

1 ينظر ، الطاهر بن عاشور، ص39.
2نفس المصدر ، ص 234
3الزمخشري ، ص231.
4تفسير الطبري جامع البيان مصدرسابق ص47.

شيء ، فإن كنت كما زعمت من أنك تحي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب ، فإن الذي يحي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا مانع بل قد قهر كل شيء ، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا فإن لم تفعله فلست كما زعمت وأنت تعلم كل هذا وأنك لا تقدر ،بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بعوضة أو تنتصر منها فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه عند جهل قومه ،ولم يبقى له كلام يجيب الخليل به بل انقطع وسكت ولهذا قال فبهت الذي كفر.

ـ سيد قطب صور المشهد تصويرا فنيا حيا، حيث تخيل أن إبراهيم عليه السلام وهو كان يقف على حافة مكان مرتفع، يتأرجح كل حركة دون أن يتهم بالسقوط وهو مشهد يعكس التوتر والرهبة في مواجهة هذا

الطاغية، وهذا المشهد يعكس قدرة سيد قطب على تجسيد المعاني المجردة وتحويلها إلى صور حسية وملموسة مما يعزز الفهم والتأثير بالآية الكريمة.[1]

نرى تعجيب للسامع من هذا الكافر المارد المجادل في قدرة الله رغم الملك الذي أعطاه إلا وهو جاحد بنعمة الله وإنكاره وجود الله ، وقابل نعمة الله بالجود والإحسان بالكفر والطغيان ، وفي الأخير أصبح دهشا مبهوتا لا يستطيع الجواب وانتصر سيدنا إبراهيم على بيان الحق . [2]وانتهت هذه المناظرة بإفحام النمرود وإثبات عجزه عن مجارات الحجة الربانية ، ولم يتمكن من الرد ، فبهت.

لفتة : قيل أن قصة إبراهيم شغلت مساحة كبيرة من القرآن ، ولكن المشهد الأخير في ترتيب النزول هو قوله :(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا) [سورة الحج :آية 27] ."وهذه نتيجة كل طاغية ومتكبر عن عبادة الله ومعرفة الحق من الباطل فنهايته خسران وبطلان وهي عبرة لمن لم يعتبر ".

1سيد قطب التصوير الفني مرجع سابق، ص84

2 ينظر ، محمود غريب، لطائف قرآنية جامعة الأزهر ، ص47 .

خلاصة المبحث

لقد تطرقت بالتفصيل عن حوارات سيدنا إبراهيم وكيف صورها سيد قطب في هذا المبحث وهذا ما توصلت إليه نتائج:

- إبراز شخصية سيدنا إبراهيم في حواره مع أبيه مستعملا أسلوب النصح والتوكيد (ياأبت ، ياأبت) في هذا المشهد الهادئ المتزن المتودد إلى والده بالرفق واللين ، رغم أن أباه يواجهه بأسلوب غليظ وصلب ، ويهدده بالرجم ، ويتوعده بالطرد ، لكن لم يفقد أدبه ولا رفقته بأبيه بل كان صابرا.

- ولا عجب في ذلك فإبراهيم صاحب القلب الطيب الكبير يغمره الرفق واللين والحلم على الناس وقومه بالرغم من إيذائهم له ، وحوار الله مع إبراهيم بتأدب للوصول إلى الإطمئنان قال (ليطمئن قلبي) إيمانه القوي بالقدرة الإلاهية، فجاءه الرد غير مهملا ، بل أرشده بالتجربة العينية ، وهو إظهار قدرة الله وانه يجيب على تساؤلات الاخيار ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم .

- صور سيد قطب المشهد المؤثر الذي يجمع بين حرارة العاطفة وبرودة العقل وبين القلب الذي يتفطر ألما، والعقل الذي لا يلين في الحق. فشخصية إبراهيم تظهر مثالية في القرآن إمتثالا لأوامر الله ، وحلمه ورأفته بقومه ، فقد سماه القرآن أمة قانتا لله حنيفا .

هذا ما توصلت إليه في المبحث الثالث وسأنتقل إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام في المبحث الرابع بحول الله وأسأل الله التوفيق والسداد فيما بقي إن شاء الله.

المبحث الرابـــع

أثر الحوار في التصوير الفني في قصة موسى عليه السلام

المطلب الاول: حوار موسى عليه السلام مع فرعون

المطلب الثاني: حوار موسى عليه السلام مع قومه

المطلب الثالث: حوار موسى عليه السلام مع العبد الصالح

خلاصة المبحث

المبحث الرابع: أثر الحوار في التصوير الفني في قصة سيدنا موسى عليه السلام

تمهيد :

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازربن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، قال تعالى: (51) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) [سورة مريم: آية 53]. وقد ذكره الله تعالى في مواضع عدة ومتفرقة في القرآن الكريم ، وذكرت قصته في مواضع كثيرة مبسوطة مطولة وغير مطولة ،وقد أنزل فيه قرآنا عن ولادته وإلقائه في اليم ، وسميت سورة بأكملها سورة القصص لذكر قصة موسى عليه السلام مفصلة وموضحة ذلك [1] ، كان كهنة مصر ، قد قالوا لفرعون بأنه سيولد مولود من بني إسرائيل يكون هلاكه على يديه ! فأمر فرعون بذبح أبناء بني إسرائيل ، لكن سكان مصر ، وهم القبط ، إحتجوا على فرعون وقالوا ، (إن بقيت تذبح أبناء بني إسرائيل فلن يبقى من بني إسرائيل من يخدمنا ؟ فصار فرعون يذبح سنة ويترك سنة ، فذبح سبعين ألف مولودا ولد هارون أخو موسى في السنة التي لا يذبح فيها ، وولد موسى في السنة التي يذبح فيها ، [2] وبعد ولادته وقد جاءت في مطلع هذه السورة قوله تعالى : (طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(2) نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِين (7) [سورة القصص : آية 07] ، أي يا محمد نتلوا عليك من خبر موسى وفرعون بالحق الذي كان سامعه مشاهدا للأمر ومعاينه، ثم ذكر هذا الطاغية الذي تجبر في الأرض وعتى وآثر الحياة الدنيا ، وأعرض عن طاعة الرب الأعلى وجعل أهلها شيعا ، أي أقسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع ويستضعف طائفة منهم ، وهم شعب بني إسرائيل نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، وكانوا خيار أهل الأرض وقد سلط عليهم هذا الظالم الكافر الفاجر

1أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، قصص الانبياء ، ص 234.
2عبد الرحمان ماريدني ، قصص الانبياء ، ص 5.

ويستخدمهم في أخس الصنائع وأدناها ، لقوله تعالى : (يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) . نشأ موسى في بيت فرعون كإبن له وكان قويا حكيما[1].

لما أراد الله أن يمن على بني إسرائيل ويخلصهم من ذل فرعون وقومه، ويهلكه مع أتباعه بعث الله الرسل نوحا وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا .....الخ صلوات الله عليهم أجمعين ليبينوا الحق ويبطلوا الباطل، وموسى عليه السلام آتاه الله حججا ودلائل بينة إلى فرعون مصر وقومه فكفروا بها ظلما وعنادا، واستكبروا عن إتباع الحق والانقياد له، وكانوا قوما مجرمين، وقالوا إن هذا لسحر مبين وما نحن له بمؤمنين، فأغرق الله فرعون وجنوده بمرآه من موسى وبني إسرائيل [2].

وأردت في هذا المبحث أن أبرز حوارات سيدنا موسى مع فرعون في إظهار الحق على الباطل، وحوار سيدنا موسى مع قومه وعنادهم، وحوار موسى عليه السلام مع الرجل الصالح وعدة مشاهد تصويرية رائعة ذكرها سيد قطب في كتابه بألفاظ دقيقة وجرس قوي معتمدة في هذا البحث على مجموعة من التفاسير، مثل: التحرير والتنوير ، سيد قطب الظلال والتصوير الفني، صفوة التفاسير للصابوني وتفسير السعدي، روح المعاني للألوسي، والبيضاوي والزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي..... وغيرها.

المطلب الأول: حوار موسى عليه السلام مع فرعون

هذه لفتة عن بداية الأسرة الفرعونية: لقد نزل بنو إسرائيل في مصر وأقاموا في زمن يوسف عليه السلام لما آتاه يعقوب عليه السلام وأبناؤه، وعندما أصاب القحط والجفاف أرض فلسطين وفي مصر تكاثر بنو إسرائيل وأصبحوا من طينها، وبعد موت يوسف عليه السلام توالى على حكم مصر من الأسرة الفرعونية عدة فراعنة حتى حكمها الفرعون عام 1225 - 1212 قبل الميلاد.

وكان طاغيا وجبارا وظالما، وأنزل ببني إسرائيل أشد العذاب وانتشر الفساد في مصر انتشارا فظيعا، وعبد الناس الأصنام والأوثان والسحرة والكهنة والملوك حتى عبدوا فرعون نفسه[3]، وهذا الذي كان يدعي لنفسه بأنه إله، فكان لابد من أن يبعث الله سبحانه وتعالى رسولا نبيا لينقذ الناس من

1قصص الانبياء، أبي الفداء اسماعيل، ص 234.
2نفس المصدر، ص245..
3عبد الرحمان مارديني، عبد الرزاق كيلو ، قصص الأنبياء ، دار المحبة دمشق ، سوريا ط1، 1005 ، 2006 ، ص4،

شر فرعون، بل ليرد فرعون نفسه إلى سواء السبيل، فشاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يرسل موسى عليه السلام وهو من نسل يعقوب عليه السلام [1]

ولما أخبر الكهنة فرعون بأن زوال ملكه سيكون على يد مولود لبني إسرائيل ، فأمر بقتل كل ذكر من أولادهم حتى لا يكثر عددهم وأسرع الموت في الشيوخ الكبار منهم من جراء إرهاقهم في العمل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا له : إن الموت وقع في الكبار من بني إسرائيل وأنت تقتل صغارهم فيوشك أن يقع العمل علينا ولا يبقى أحد للخدمة غيرنا ، فأمر أن يقتل الغلمان سنة ويتركوا سنة حتى لا يهلك جميع أبناء إسرائيل [2] ، وفي السنة التي لا يقتل فيها أحد من الغلمان ولد هارون فترك وشأنه وتربى في أحضان والديه ، وأما موسى فقد صادفت ولادته العام الذي يذبح فيه الأطفال فلما ولدته أمه خبأته عن العيون فلم يتسرب خبره إلى فرعون .[3]

الفرع الأول: موسى عليه السلام في بلاط فرعون

مكث موسى بعد ولادته عدة أشهر في كنف والدته، ولما خافت افتضاح أمرها ألهمها الله أن تهيئ له صندوق تضعه فيه ثم تطليه بالقار، ثم تلقي به في نهر النيل وقد هدأ الله من روعها، وبشرها بأنه سيرجعه إليها، ويجعله من المرسلين.

قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [سورة القصص: آية 07] .وهذه معجزة كبرى في بدايتها .

يخبرنا الله عز وجل أنه أوحى إلى أم موسى وحي إلهام أن ترضع ولدها، لتقوى بنيته، وليكون له من الرضاعة الأخيرة قوت يشد بنيته فيما بين قذفه في اليم، والتقاط آل فرعون إياه، ثم ألهمها إن هي خافت عليه أن تلقيه في اليم، ثم بشرها بأنه رادوه إليها وجاعله من المرسلين، والآية الكريمة حملت عدة معاني كثيرة في عدد يسير من الألفاظ وهذا من عيون عبارات الإيجاز بالقصر.[4]

1قصص الأنبياء، المرجع السابق ،ص5.
2نفس المرجع، ص10.
3عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم دار العلم للملايين، ط1 ديسمبر 1975، ص 318.
4 أمحمد محمد المستغانمي، تصريف القول في قصة موسى عليه السلام، دراسة تحليلية بلاغية لقصة موسى عليه السلام، دار بن كثير، ط1، 1439ه، 2018م، ص85.. ينظر .

وقد أورد القرطبي في تفسيره قصة طريفة عن سر إيجاز هذه الآية فقال: حكى الأصمعي قال: سمعت جارية إعرابية تنشد وتقول:

أستغفر الله لذنبي كله قبلت إنسانا بغير حله

مثل الغزال ناعما في دله فانتصف الليل ولم أصله

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أو يعد هذا فصاحة مع قوله تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) [سورة القصص: 07.] . فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وبشارتين.

ـ وقد علق صاحب التحرير والتنوير على روعة الإيجاز قائلا: وقد كانت هذه الآية مثالا من أمثلة دقائق الإعجاز القرآني.

والخبران هما: " وأوحينا إلى أم موسى " وقوله " فإذا خفت عليه "

والأمران هما: " أرضعيه " و " فألقيه "

والنهيان هما: " ولا تخافي " و " ولا تحزني "

والبشارتان هما " إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ".[1]

ـ لما كلف الله نبيه موسى عليه السلام بحمل الرسالة ، وتبليغ دعوة التوحيد إلى فرعون وملإه ، وكان موسى عليه السلام يعاني من عقدة في لسانه ، طلب من ربه عز وجل ، أن يشد أزره بأخيه هارون فأجاب الله دعاءه وأرسل معه أخاه هارون نبيا .[2] فقال تعالى:(وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ) [سورة القصص: 34] وهنا توضيح لعظمة الرسالة التي أعطيت لموسى عليه السلام ولثقلها في بداية الأمر، إنه ليس بالأمر السهل لقوم جهلة ومعاندين مثل فرعون وأمثاله .[3]

1المرجع السابق، ص86.

2 القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت، عبد الله المحسن التركي بيروت، الرسالة ، 2006 ج16، ص234 .

3ينظر، أمحمد محمد صافي المستغانمي ، تصريف القول في القصص القرآني ، دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام ، ط1 ، ت 2018، مج1، ص58.

فقصة موسى عليه السلام حياته من مولده مرورا بالمحطات البارزة فتوته إقامته في أهل مدين وزواجه منهم، إلى موعد الإيحاء إليه في جبل الطور وإلى إرساله إلى فرعون وملاه والعديد من الأحداث كلها ذكرت في سورة القصص تفصيلا وذكرت في بعض تفصيلا وإجمالا.[1]

ومن السور التي ذكرت حوار موسى مع فرعون , سورة الأعراف لقوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (102) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (103) [سورة الأعراف : آية 115] . وفي هذه الآيات تبين إقناع موسى عليه السلام لفرعون بالحجج والبراهين والمعجزات الظاهرة وما كان من سحرة فرعون على سبيل التكبر واللامبالاة.[2]

كذلك ما جاء في سورة يونس لقوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسِىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِـَٔايَٰتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ (75) فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (76) قَالَ مُوسِىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ (77) قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (78) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (79) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (80) فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (81) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (82) ۞فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ 83) [سورة يونس: آية 83] .

وهذه الآيات العظيمة جاءت تدل على صدق موسى ومعجزات ومازال فرعون يكذب بكل ما جاء موسى من بينات وحجج وبراهين دالة على ماءتاه الله من الحق المبين.

كذلك ما جاء في سورة الإسراء قوله تعالى : (100وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُوراً (101) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (102) فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم

1 التحرير والتنوير،مصدر سابق، ج20 ، ص 74

2 تصريف القول في لقصص القرآني، مصدرسابق ، ص60.

مِّنَ الأرض فَأَغْرَقْنٰهُ وَمَن مَّعَهُ ۥجَمِيعاً ۝ (103) وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ۝ (104) [سورة الاسراء : آية 104] .

ويقصد بتسع ءايات بينات هي كالحية والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والرجز وفلق البحر كل واحدة منها تكفي لمن قصده اتباع الحق وإن شككت في شيء فسئل بني إسرائيل .....الخ الآيات[1].

الفرع الثاني: الأمر الإلهي لموسى للذهاب إلى فرعون.

لما أمر الله عز وجل سيدنا موسى أن يتوجه إلى فرعون رأس الكفر والطغيان عندما تجبر وتكبر وجاوز الحد في الطغيان حتى ادعى الألوهية قال تعالى : (ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ (23) قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى (24) وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى (25) وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى (26) يَفْقَهُواْ قَوْلِى (27) وَٱجْعَل لِّى وَزِيراً مِّنْ أَهْلِى (28) هَٰرُونَ أَخِى ۝ (29) ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى (30) وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى (31) كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (32) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً (33) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ۝ (34) ۞قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ 35) [سورة طه : آية 35] .

في هذه الآيات الكريمة أعد الله موسى لرسالته وإجابة على ما سأل فبعث معه أخاه هارون وأمره أن يذهب هو وأخوه إلى فرعون مؤيدين بالآيات والمعجزات ، ونهاهما عن الفتور والتقصير في ذكر الله وتبليغ الرسالة ، وأمرهما أن يقصدا فرعون بالذات لأنه هو الذي طغى ، يقول الصابوني في تفسيره أن موسى عليه السلام طلب من ربه أن يشرح صدره يوسعه وينوره بالإيمان والنبوة ويسهل عليه القيام بما كلفه من الرسالة والدعوة ، وحل هذه اللكنة الحاصلة في لساني يفهموا كلامي ، قال المفسرون : لما عاش موسى في بيت فرعون فوضعه فرعون مرة في حجره وهو صغير فجر لحية فرعون بيده فهم بقتله ، قالت له آسية : [2] إنه لا يعقل وسأريك بيان ذلك ، قدم إليه جمرتين ولؤلؤتين ، فإن أخذ اللؤلؤة عرفت أنه يعقل وإن أخذ الجمرة عرفت أنه طفل لا يعقل ، فقدم إليه

1عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، دار التقوى، ط1 ، 1436- 2015-،القاهرة ، ص 441 .

2صفوة التفاسير ، ص 212 .

فأخذ الجمرة فجعلها في فيه فكان في لسانه حبسة[1]، "وهذا يدل على صنائع فرعون الخبيثة والناكر لكل خير ".

ـ يقول الطاهر بن عاشور : سيدنا موسى عليه السلام سأل سلامة التبليغ وهو آلة اللسان بأن يرزقه فصاحة التعبير والمقدرة على أداء مراده بأوضح عبارة ، فشبه حبسة اللسان بالعقدة في الحبل أو الخيط ونحوهما لأنها تمنع استعماله ، والعقدة : موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر منه ، أطلقت على عسر النطق بالكلام أو ببعض الحروف على وجه الاستعارة لعدم تصرف اللسان عند النطق بالكلمة وهي استعارة مصرحة ويقال لها حبسة عقد اللسان كفرح ، فهو أعقد إذا كان لا يبين الكلام ، واستعار لإزالتها فعل الحمل المناسب العقدة على طريقة الاستعارة المكنية .[2]

ـ ويقول عبد القادر حسين في كتابه الصورة البيانية: (واحلل عقدة من لساني) أي أزل ما أصابني من عيب في لساني حتى أبين في الكلام فيفهموا عني ما أود تبليغه لهم، فشبه الإزالة بالحل أولا وشبه عيب اللسان باللثغة يعيب الحبل بما يعقد فيه من العقد التي لا حاجة إليها ثانيا، فمعنا استعارتان استعارة الحل للإزالة، واستعارة العقدة للعيب، وفي كل منهما صرح بلفظ المشبه به دون المشبه. [3]

وخص هارون هنا لفرط ثقته به ولأنه كان فصيح اللسان مقوالا، فكونه من أهله مظنة النصح له، وكونه أخاه أقوى في الفصاحة والمناصحة، وكونه الأخ الخاص لأنه معلوم عنده بأصالة الرأي، وهارون مفعول أول لفعل (اجعل) قدم عليه المفعول الثاني للاهتمام.[4]

وقال موسى وهارون إننا نخاف جبروت فرعون وقسوته إذا بلغناه الرسالة فربما حمله الغضب على البطش بنا أو التعجيل بعقابنا فقال الله لهما : لا تخافا أن يصيبكما ما توهمتما منه ، فإني معكما أسمع وأرى ، فسأحفظكما من بغيه ، ثم أمرهما أن يقولا لفرعون : إننا رسولان من عند الله الذي أنت عبد من عبيده ولست إلها كما تدعي ، فلا يحق لك أن تأسرني إسرائيل وتسلبهم الحرية فأطلق

1 ينظر ، صفوة التفاسير، مصدر سابق، ص 213.
2التحرير والتنوير ، ص212.
3 نفس المصدر ، ص211.
4المصدر السابق، ص62.

سراحهم ليكون لهم الحرية في الانطلاق معنا إذا شاءوا وليس لك أن تعذبهم باستخدامهم في أشق الأعمال ، ونحن لدينا البينة على أننا مكلفون أن نبلغك ذلك ، والسلام على من اتبع الحق وآمن به.[1]

ـ يقول سيد قطب في تفسير الظلال: وهنا لم يكن موسى يعلم أنه منتدب لهذه المهمة الضخمة.. وإنه ليعرف من هو فرعون فقد تربى في قصره، وشهد طغيانه وجبروته، وشهد ما يصيبه على قومه من عذاب ونكال وهو اللحظة في حضرة ربه يحس بالرضى والتكريم والحفاوة، فليسأله كل ما يطمئنه على مواجهة هذه المهمة العسيرة، ويكفل له الإستقامة على طريق الرسالة ..... فعندما قال رب اشرح لي صدري.... حيث صور مشاعر موسى من الخوف والرجاء وصولا إلى ثقته المطلقة في الله، ووصف الحوار موسى مع فرعون كأنه صراع بين الحق والباطل حيث ينكر فرعون رسالة موسى عليه السلام ويحاول التشكيك فيها، بينما يؤكد موسى على صدق رسالته ويدعوا إلى الإيمان بالله عز وجل .[2] " كان الأمر صعبا بداية الدعوة واستشعر بضخامته ، ثم دعا الله بكل أدب (رب اشرح لي)".

ـ وهذا موضع آخر في سورة الشعراء من أبرز القصص القرآنية لسيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ويبرز فيه الحق على الباطل يبرز فيه تجبر فرعون وقوة موسى عليه السلام ولينه في الخطاب مستعينا بأخيه هارون عليهما السلام.

قال تعالى : (وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (9) قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَۖ (10) قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (11) وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ (12) وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِۖ (13) قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَۖ (14) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (15) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَۖ 16) [سورة الشعراء: 16] .

أولا: في هذه الآيات الكريمة تبين تكليف موسى بالرسالة لفرعون ويعبر فيها عن خوفه واستعانته بأخيه هارون إذ قال ويضيق صدري ولا ينطلق لساني لأن لديه عقدة ومشكلة في لسانه وشرحتها سابقا، يقول الرازي صاحب مفاتيح الغيب في تفسيره [3]: النداء لموسى الأول وإذ نادى ربك موسى: اختلف أهل السنة في النداء الذي سمع موسى من الله تعالى: هل هو كلامه القديم؟ أو هو ضرب من

1مع الانبياء في القرآن الكريم، ص226.
2 ينظر ، سيد قطب في ظلال القرآن مصدرسابق، ص 23 -32
3الرازي ، مفاتيح الغيب ، ص536.

الأصوات، فقال أبو الحسن الأشعري: المسموع هو الكلام القديم، وكما أن ذاته لاتشبه الأشياء، فكلامه منزه عن المشابهة الحروف والأصوات مع أنه مسموع، وقال أبو منصور المتردي: الذي سمعه موسى عليه السلام كان نداء من جنس والأصوات، والمعتزلة اتفقوا على أن ذلك المسموع ما كان حروفا وأصواتا، فعند هذا قالوا إن ذلك النداء وقع على وجه علم به موسى عليه السلام ، أنه من قبل الله تعالى ، فصار معجزا علم به أن الله مخاطب له فلم يحتاج إلى واسطة ، ثم قال ألا يتقون : قرئت بكسر النون وفتحها وهو كلام مستأنف أتبعه تعالى إرساله إليهم للإنذار والتسجيل عليهم بالظلم ، تعجيبا لموسى من حالهم في الظلم والتعسف .[1]

ـ ذكر الصابوني مقابلة لطيفة في قوله تعالى: (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني)

وذكر جناس الاشتقاق في قوله: (رسول .... وأرسل)

وذكر الجناس الناقص: (وفعلت فعلتك التي فعلت) فقد اتفقت الحروف واختلف الشكل فأصبح جناس غير تام.[2]

ثانيا: فرعون والمواجهة وفي هذه الآيات الكريمة تبين أن فرعون يسخر من موسى ويذكره بالماضي حين تربى في قصره قال تعالى: (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (17)وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِے فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (18) قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (19) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِے رَبِّے حُكْماً وَجَعَلَنِے مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (20) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ (21) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (22)قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (23)۞قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (24) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلاَوَّلِينَ (25) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِےٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (26)قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذتَّ إِلَٰهاً غَيْرِے لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ 27) [سورة الشعراء27] .

أي يا موسى ألم نربك في منازلنا صبيا صغيرا؟ ألست أنت الذي ربيناك صغيرا وأحسنا إليك بمن واحتقار! فمتى هذا الأمر الذي تدعيه؟ ومكثت سنين عديدة نحسن إليك ونرعاك؟ قال مقاتل: ثلاثين سنة، وفعلت فعلتك أي فجازيتنا على أن ربيناك وكفرت نعمتنا وقتلت منا نفسا؟ وهي قتله للقبطي

1المصدر السابق ، ص 538.
2صفوة التفاسير ، ص 345.

حين استغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، ورد عليه موسى عليه السلا [1]: قال مجيبا لفرعون عما امتن عليه من التربية والاحسان إليه: وهذه النعمة التي ذكرت من أنك أحسنت إلى وأنا رجل واحد من بني إسرائيل، تقابل ما استخدمت هذا الشعب العظيم بكماله واستعبدتهم في أعمالك وخدمك وأشغالك.[2]

ـ يقول فخر الدين الرازي في تفسيره:(وأنت من الكافرين) فيه وجوه أحدهما: يجوز أن يكون حالا أي قتلته وأنت بذلك من الكافرين بنعمتي، ثانيا: وأنت إذ ذلك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان يعاشرهم ثالثا: وأنت من الكافرين معناه وأنت ممن عادته كفران النعم ومن كان هذا حاله لم يستبعد منه قتل خواص ولي نعمته، رابعا: وأنت من الكافرين بفرعون وألوهيته أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونها.[3]

ـ ويقول الصابوني هذا إيجاز بالحذف حين قال ألم نربك فينا وليدا دل على هذا الحذف السياق تقديره فآتيا فرعون فقلا له ذلك فقال لموسى (ألم نربك) والإيجاز في قوله تعالى: (فأرسل إلى هارون) ، قال الزمخشري : أصله أرسل جبريل إلى هارون واجعله نبيا وآزره به واشدد به عضدي فأحسن في الاختصار غاية الإحسان، وذكر: صيغة التعجب في قوله تعالى : (ألا تستمعون !) ، وذكر التأكيد في قوله تعالى : (إن رسولكم الذي أريل إليكم لمجنون) بأن واللام لأن السامع متشكك ومتردد ، وهذا من خصائص علم البيان ، وذكر لطيفة أخرى قال : إن قيل كيف قال موسى في بدء مناظرته لفرعون وقومه (عن كنتم موقنين) ثم قال آخرا : (إن كنتم تعقلون) فالجواب أنه تلطف ولاين أولا طمعا في إيمانهم ، فلما رأى منهم العناد والمغالطة وبخهم بقوله (إن كنتم تعقلون) وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون : (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) فسلك موسى طريق الحكمة .[4]

"ويقول موسى كل هذا كان قبل النبوة والله عز وجل اصطفاه وفرعون يتهمه بالسحر والجنون ويتحداه. "

1المصدر السابق ، ص 236.
2 قصص الأنبياء ، ابي الفداء ابن إسماعيل ، ص247. .248
3 مفاتيح الغيب ، مصدرسابق ص 50
4- ينظر ، صفوة التفاسير,ص320.

الفرع الثلث : موسى والسحرة :

قال تعالى في سورة الشعراء: (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (29) قَالَ فَاتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (30) فَأَلْقِيٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (31) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (32) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هذا لسحر عَلِيمٌ (33) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنَ اَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَامُرُونَ (34) قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (35) يَاتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (36) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (37) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلَ اَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (38) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (39) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً اِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ (40) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (41) قَالَ لَهُم مُّوسِيٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (42) فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ (43) فَأَلْقِيٰ مُوسِيٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَافِكُونَ (44)فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (45) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (46) رَبِّ مُوسِيٰ وَهَٰرُونَ (47) قَالَ ءَاٰمَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنَ اٰذَنَلَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلذِے عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (48) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) ۞قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَيٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُومِنِينَ (51) [سورة الشعراء : آية 51] .هذا المشهد القرآني الرباني يبين قوة موسى ومعجزاته مع السحرة .

ـ يقول صاحب الظلال سيد قطب: [1] حتى لو جئتك ببرهان واضح على صدق رسالتي فإنك تجعلني من المسجونين؟ وفي هذا إحراج لفرعون أمام الملأ الذين استمعوا لما سبق من قول موسى، ولو فرض الإصغاء الى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته، وهو يدعي أنه مجنون، ومن ثم وجد نفسه مضطرا أن يطلب منه الدليل: قال فات به إن كنت من الصادقين في دعواك، فهو ما يزال يشكك في موسى، خيفة أن تترك حجته في نفوس القوم شيئا، وهنا كشف موسى عن معجزتين ماديتين، وقد أخرهما حتى بلغ التحدي من فرعون أقصاه : (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) "والتعبير يدل على أن العصا تحولت فعلا إلى ثعبان تدب فيه الحياة، وأن يده حين نزعها كانت بيضاء فعلا "، يدل على هذا بقوله: (فإذا هي) فلم يكن الأمر تخييلا، كما

1 ينظر ، في ظلال القرآن ، ص2593.

هو الحال في السحر الذي لا يغير طبائع الاشياء، إنما يغير للحواس بغير الحقيقة، هذه المعجزتين لا يلقي لها الناس بالا من طول الألفة والتكرار وهذا المشهد موسى عليه السلام يلقي في وجه فرعون بهاتين الخارقتين فالأمر يزلزل ويرهب [1]. "هذا المشهد يظهر حوار موسى عليه السلام وفرعون والسحرة ، مشهد مليئ بالتحدي أمام الملأ وسرعان ما نتصر فيه موسى وخر السحرة سجدا."

ومعجزات موسى عليه السلام فاقت قدرات السحرة، وانتصر الحق على الباطل والصرخة التي أطلقها فرعون ضد موسى والسحرة حين اتهمهم بالسحر والكفر ثم في النهاية سينهار بعد ذلك، ويتحقق النصر لموسى عليه السلام.

خلاصة المطلب الأول: نستنتج من هذا المطلب ما يلي:

ـ من خلال حوار سيدنا موسى عليه السلام هو ذلك الصراع بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان.

ـ صبر سيدنا موسى مع أخيه هارون على تحمل الرسالة المكلفة من الله عز وجل.

ـ إيمان موسى وقوته في التحدي الذي وجهه فرعون الطاغية رغم جبروته وعناده وكبريائه إلا وانهزم في نهاية الأمر.

ـ هذ الحوار بين لنا أهمية الإيمان وكيفية غرس العقيدة في بداية الأمر خاصة للمعاندين والجبابرة مثل فرعون وأتباعه، وبين لنا شخصية سينا موسى وكيف واجه الرسالة بين الخوف والرجاء حتى انتصر الحق على الباطل.

المطلب الثاني: حوار موسى مع قومه

الفرع الأول: قصة بقرة بني اسرائيل.

لقد جاءت هذه الآيات الكريمة تتكلم عن موسى عليه السلام وقومه قال تعالى:

۞65وَإِذْ قَالَ مُوسِىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنَ اَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَۖ (66)قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۖ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ

1 ينظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 25-93

عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَافْعَلُواْ مَا تُومَرُونَۖ (67) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَاۚ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَۖ (68) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَۖ (69) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَۖ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۖ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَۖ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّٰرَأْتُمْ فِيهَاۚ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَۖ71 فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَۖ 72) [سورة البقرة :آية 72].يحكى قديما في بني إسرائيل كان شيخ موسر فقتله ابنه بنو أخيه ليرثوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله فقالوا (أتتخذنا هزؤا أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين) تجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ لفرط الاستهزاء (من الجاهلين) وهو من الجهل والسفه في هذا الباب، وقرئ هزؤا بضمتين وهزؤا بسكون الزاي، وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ماهي؟ سؤال عن حالها وصفتها [1] ، وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر، والفارض المسنة وكأنها سميت فارض لأنها فرضت سنها: أي قطعتها وبلغت آخرها، والبكر: الفتية. والعوان: النصف، وقد عونت أي تعون عونا، وفاقع لونها : أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه ، واقع خبرا عن اللون ، فلم يقع توكيدا لصفراء ، إلا أنه ارتفع به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها والفائدة في ذكر اللون فيه توكيد ،لأن اللون إسم للهيئة وهي الصفرة ، وعن وهب : إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ، والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه ، وعن علي رضي الله عنه قال : (من لبس نعلا صفراء قل همه) .

ـ يقول الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير (قول موسى عليه السلام أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) هو تبرؤ وتنزه عن الهزء لأنه لا يليق بالعقلاء الأفاضل وأن المزح لا يليق في المجامع العامة والخطابة، على أنه لا يليق بمقام الرسول ولذا تبرأ منه موسى بأن نفى أن يكون من الجاهلين كناية عن نفي المزح ينفي ملزومه ، وهي أبلغ كلمات النفي أي أعوذ بالله لأن المرء لا يعوذ بالله إلا إذا أراد التغلب على أمر عظيم ألا يغلبه إلا الله تعالى . ـ قال بن عباس : (فلوا أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها و ولكنهم شددوا فشدد عليهم) [2].

1الزمخشري ،ص287.
2التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص548.

ـ وعن الحسن البصري قال: (صفراء فاقع لونها) شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الإبل ولأن سوادها تعلوه صفرة، (ماهي) مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لوا اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم. وفي حديث البخاري: قال (أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته) [1].

ثم قالوا: (إن البقر تشابه علينا) أي إن البقر الموصوفة بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها تذبح ، وفي حديث ابن جرير عن ابن جريج مرسلا: (لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد) أي لو لم يقولوا إن شاء الله ، والمعنى إنا لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها ، (وفي الاخير نجيء الى جمال الاداء وتناسقه مع السياق هذه قصة قصيرة نبدؤها ، فإذا نحن أمام مجهول لا نعرف ما وراء ه ، ولا بني اسرائيل تعلم ذلك وهي اختبار لمدى الطاعة والاستجابة والتسليم ، ثم تتابع الحوار قصة موسى مع قومه ، فلا نرى الحوار ينقطع ليثبت مادار بين موسى وربه ، وينتهي بالمباغتة في الخاتمة ، ومن ثم يلتقي جمال الآداء التعبيري بحكمة السياق الموضوعية في قصة قصيرة من القصص القرآني الجميل بالحق.[2] " الأمر الإلاهي واضح لكن تعنتهم أوقعهم جاء في نموذج قرآني بليغ يظهر طبيعتهم المتشددة ".

ـ يقول محمد علي الصابوني في تفسيره البلاغي: (فذبحوها وماكاوا يفعلون).

أولا: من إيجاز القرآن أن حذف من صدر هذه الجملة جملتين مفهومتين من نظم الكلام والتقدير: فطلبوا البقرة الجامعة للأوصاف السابقة وحصلوها، فلما اهتدوا إليها ذبحوها وهذا من الإيجاز والحذف.

ثانيا: والله مخرج ما كنتم تكتمون جملة اعتراضية بين قوله فادارءتم وقوله فقلنا اضربوه والجملة المعترضة بين ما شأنهما الاتصال تجيئ تحلية يزداد بها الكلام البليغ حسنا، وفائدة الاعتراض هنا إشعار المخاطبين بأن الحقيقة ستنجلي لا محالة[3]

1المرجع السابق، ص295.
[2]ينظر ، في ظلال القرآن ، ص80.
[3] صفوة التفاسير ، ص59.

فقلنا اضربوه ببعضها: يقول الزمخشري، واختلف البعض الذي ضرب به، فقيل لسانها ، وقيل فخذها اليمنى ، وقيل عجبها ، وقيل العظم يلي الغضروف ، وهو أصل الأذن ، والمعنى فضربوه فجيء ، فحذف ذلك لدلالة قوله: (كذلك يحي الله الموتى) وروى أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دما، وقال قتلني فلان وفلان لابن عمه، ثم سقط ميتا ، فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ، أما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى قلنا لهم ، ودلائله على أنه قادر على كل شيء ، وإما خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]، فإن قلت هلا أحياه الله ابتداء ؟ ولم يشرط في إحياءه ذبح البقرة وضربه ببعضها؟ قلت في الأسباب والشروط حكم وإنما شرط ذلك في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكاليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب.[2] "هنا نرى تعنت بني إسرائيل أدى بهم إلى العسير، وهذه القصة كشفت عن تحايلهم وهذا تحذير للمؤمنين في عنادهم."

الفرع الثاني: سيدنا موسى عليه السلام مع قومه وعبادة العجل.

قال تعالى: (۞وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ 53) [سورة البقرة: آية 53].

وذكرت بالتفصيل في سورة طه لقوله تعالى:

(80)۞وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ (81) قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (82) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ (83) إلى قوله تعالى ۞ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُۥ وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفاً 95) [سورة طه : آية 95] .ما ذكر في سورة طه والأعراف ما كان من أمر بني إسرائيل حين ذهب موسى لميقات ربه فمكث على الطور يناجيه ربه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة، وهو يجيبه سبحانه وتعالى عنها فعمد رجل منهم يقال له هارون

1الزمخشري، ص148.
2 ينظر، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ص 60

السامري، فأخذ ما كان استعاره من الحلي، فصاغ منه عجلا، وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر

فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه، فلما ألقاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقي، ويقال إنه استحال عجلا جسدا أي لحما ودما يخور[1]

ـ وقد استغل هذه الظاهرة رجل ماكر من بني إسرائيل سماه القرآن (السامري) فجاءهم بعجل وقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى وقد نسيه هنا وذهب لملاقاته في هذه الغيبة الطويلة عنكم، تصدى لهم هارون وأفهمهم أنهم فتنوا وجهد في ردهم عن عبادة العجل فلم يفلح وأصروا على عبادته حتى يرجع عليهم موسى.[2]

ـ أما ما جاء في صورة البقرة عن عبادة العجل ، لم يقبل الله توبة عابدي العجل إلا بالقتل وإنهم أصبحوا يوما وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف و وألقى الله عليهم الضباب حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه ، ثم مالوا على عابديه فقتلوهم وحصدوهم فيقال : عنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفا .

ـ يقول سيد قطب في الظلال : عن اتخاذ بني إسرائيل العجل ، يذكرهم بها هنا بانحدارهم إلى عبادة العجل بمجرد غيبة موسى عليه السلام نبيهم الذي أنقذهم باسم الله ، من آل فرعون يسومونهم سوء العذاب ، ويصف حقيقة موقفهم في هذه العبادة (وأنتم ظالمون) ومن أظلم ممن يترك عبادة الله ووصية نبيه ليعبد عجلا جسدا ، وقد أنقذه الله ممن كانوا يقدسون العجول ، ومع هذا فقد عفا الله عنهم ، وآتى نبيهم الكتاب (التوراة) فيه فرقان بين الحق والباطل ، عسى أن يهتدوا إلى الحق البين بعد الضلال[3] . (قال اقتلوا أنفسكم) أي ليقتل الطائع منكم العاصي ، ليطهره ويطهر نفسه عن تلك الكفارة العنيفة و وغنه لتكليف شاق ومرهق ، أن يقتل الأخ أخاه ، فكأنما يقتل نفسه برضاه ، وهي تربية لتلك الطبيعة المنهارة ، التي تتماسك عن شر ، ولا تتناهى عن منكر ، ولوا تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل ، "ثم تدركهم رحمة الله بعد التطهير ".[4](قال فتاب عليكم إنه هو

1قصص الأنبياء أبي الفداء اسماعيل بن كثير، ص 290.
2مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص 245.
3 في ظلال القرآن، ص71.
4 ينظر ، نفس المصدر، ص 34

التواب الرحيم) [سورة البقرة : آية 54] . إنحراف قوم موسى وغضبه عليهم وهذا يبين ضعف توحيدهم ، وصدمة موسى عليه السلام حين وجدهم يعبدون عجلا من ذهب فانبهر منهم في دهشة وألم .

ـ ويقول الطاهر بن عاشور : قول موسى لقومه : (إنكم ظلمتم أنفسكم .....تشريع لا يكون مثله إلا عن وحي لا عن اجتهاد وإن جاز الاجتهاد للأنبياء فإن هذا حكم مخاف لقاعدة حفظ النفس التي قبل قد اتفق عليها شرائع الله فهو يدل على أنه كلفهم بقتل أنفسهم قتلا حقيقة ، إما بأن يقتل كل من عبد العجل نفسه فيكون المراد بالأنفس الأرواح التي في الأجسام فالفاعل والمفعول واحد على هذا وإنما اختلفا بالاعتبار كقوله ظلمتم أنفسكم ، وإما بأن يقتل من لم يعبدوا العجل عابديه وكلام التوراة في هذا الغرض في غاية الإبهام وظاهره أن موسى أمره الله أن يأمر الأوابين (الذين هم سبط الذي منه موسى وهارون) أن يقتلوا من عبد العجل بالسيف وأنهم فعلوا ثلاثة آلاف نفس ثم استشفع لهم موسى فغفر الله لهم ، أن يكون حكم قتل أنفسهم منسوخا بعد العمل به و ويكون المعنى فليقتل بعضكم بعضا.[1]

الفرع الثالث: موقف موسى من بني إسرائيل

لما دعي سيدنا موسى قومه إلى الإيمان وتوحيد الله تعالى يحرك فينا الإحساس بمشاعر التلطف والحرص والرحمة النابعة من إنسان يحب الخير لغيره ، ثم إن تكرار ذلك الموقف في منازل متعددة دعوة إلى الوقوف أمام جمال البديع الذي يأخذ باللب فيغدوا مسحورا منتبها وبهذا (فقد بلغ الأسلوب القرآني في مجال الصور ذروة الفن) ، وكيف لا وهو إعجاز من الله تعالى !! كما نشاهده في القصة القرآنية على وجه الخصوص، ولقد اهتم التعبير الفني بتحديد جوانب الصورة في المشد الروائي فعرض علينا حركة الشخصية أو أثر الحدث، ولكنه ترك العقل القارئ كوة ينظر منها إلى صورة الوعي المدرك (بفتح الراء) الذي يمكن في صورة الحدث أو الحركة الشخصية أعني متعة الاستيحاء التي يعيش القارئ في غمرتها.[2]

[1] التحرير والتنوير ، ص 1503

[2] محمد الامين بن محمد خلادي ، من تجليات الاعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني ص 85.

ـ يقول سيد قطب في كتابه التصوير الفني: لما عاد موسى لقومه ووجدهم اتخذوا العجل إلها وفي يديه الألواح التي أوحاها الله إليه، فما تريث وما بني (وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه) وإنه ليمضي منفعلا يشد رأس أخيه ولحيته ولا يسمع له قولا (قال يا قوم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) وحين يعلم أن السامري هو الذي فعل الفعلة ويلتفت إليه غاضبا ويسأله مستنكرا حتى إذا علم سر العجل (قال فاذهب فإن لك في الحياة ان تقول لا مساس) هكذا في حنق ظاهرة وحركة متوترة فلندعه سنوات أخرى. لقد ذهب قومه في التيه ونحسبه قد صار كهلا حينما افترق عنهم، ولقي الرجل الذي طلب إليه أن يصحبه ليعلمه مما آتاه الله علما، ونحن نعلم أنه لم يستطع أن يصبر حتى ينبئه بسر ما يصنع مرة ومرة فافترقا، تلك شخصية موحدة بارزة، ونموذج إنساني واضح في كل مرحلة من مراحل القصة جميعا .[1]

ـ قال تعالى عن جمال القرآن هنا : (ولما سكت عن موسى الغضب ..... "هنا التعبير القرآني يصور لنا الغضب رجلا يغري موسى عليه السلام على ما فعل و هو يقول له قل لقومك كذا "، وألقى الألواح وجر برأس أخيك إليك ثم كف عن الإغراء ، وانقطع عن التزيين ، والتعبير بلفظ السكوت هنا شعبة من شعب البلاغة ، إذ لا تجد النفس عند التعبير بلفظ سكون مثلا تلك الهزة ولا طرفا من تلك الروعة ، وشبه الفراء في كتابه معاني القرآن بما فيه من قرينة صارفه عن معنى السكوت إلى السكون بقوله (الغضب لا يسكت وإنما يسكت صاحبه ، وإنما معناه سكن) . [2]

ونستنتج من هذا المطلب ما يلي: ـ الصراع الذي كان مع سيدنا موسى عليه وقومه حول بقرة بني إسرائيل تبين طبيعة بني إسرائيل في الجدال، لكن الآيات تبين قدرة الله في تنفيذ أوامره وتحقيق عدالته.

ـ خوف سيدنا موسى أول الأمر لأن القوم اعتادوا الذل والعبودية وأنهم قد عاشوا فترات طويلة تحت ظلم فرعون فضعفت نفوسهم وهذا التغيير احتاج صبرا عظيما من سيدنا موسى عليه السلام.

ـ حكمة موسى عليه السلام وصبره رغم عناد القوم وواصل دعوته ودعا لهم وعاتبهم بحكمة وقال لهم (يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم).

[1] سيد قطب، التصوير الفني مرجع سابق ، ص 203 .
[2] ينظر ، عبد القادر حسين ، القرآن والصورة البيانية مرجع سابق ، ص 209

ـ العقوبة الألوهية تأتي عند الإصرار على المعصية بعد عبادتهم للعجل وبين الله أن المعصية لها عواقب وأن التوبة الصادقة شرط للمغفرة .وهذه نتيجة كل عاصي طاغيا منحرف عن عبادة الله .

المطلب الثالث: حوار سيدنا موسى مع العبد الصالح

قال تعالى : " (58)وَإِذْ قَالَ مُوسِي لِفَتٰيهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّيٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوَ اَمْضِيَ حُقُباً (59) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ ۥفِےٱلْبَحْرِ سَرَباً (60) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتٰيهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَباً (61) قَالَ أَرَءَيْتَ إِذَ اَوَيْنَآ إِلَي ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّےنَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآأَنسٰنِيهِ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنَ اَذْكُرَهُۥوَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ ۥفِےٱلْبَحْرِ عَجَباً (62) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۥفَارْتَدَّا عَلَيٰٓءَاثَارِهِمَا قَصَصاً (63) فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً (64) قَالَ لَهُۥ مُوسٰي هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَيٰٓ أَن تُعَلِّمَنِۦ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (65) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِےصَبْراً (66) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْراً (67) قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَٱللَّهُ صَابِراً وَلَآ أَعْصِےلَكَ أَمْراً (68) قَالَ فَإِنِ إِتَّبَعْتَنِےفَلَا تَسْـَٔلَنِّےعَن شَےْءٍحَتَّيٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (69)فَانطَلَقَا حَتَّيٰٓ إِذَا رَكِبَا فِے اِلسَّفِينَةِ خَرَقَهَآ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً اِمْراً (70) قَالَ أَلَمَ اَقُلِ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِےصَبْراً "قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِے بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِے مِنَ اَمْرِےعُسْراً (72) فَانطَلَقَا حَتَّيٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰماً فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَةَۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكُراً (73) ۞قَالَ أَلَمَ اَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِےصَبْراً (74) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَےْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِےقَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِےعُذْراً (75)فَانطَلَقَا حَتَّيٰٓ إِذَآأَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ إِسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوَاْ اَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَّنقَضَّ فَأَقَامَهُۥقَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذتَّ عَلَيْهِ أَجْراً) [سورة الكهف : من آية 59 إلى آية 76] .

جاء في الصحيحين: عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال أنا ، فعتب الله عز وجل عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى فكيف لي به ؟ قال تأخذ

حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ، فانطلق موسى ، ومعه فتاه (يوشع بن نون) حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا ، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد ، قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا [1]، قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به ، فقال فتاه : (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا) قال : فكانت للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا فقال موسى[2] : (ذلك ماكنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) قال : رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا على الصخرة ، فإذا هو مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ! من أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) ، يا موسى إني على علم من علم الله لا تعلمه علمنتيه ، وأنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه ، فقال موسى : (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) فقال له الخضر : (فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكر، فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول ، أي دون أجر ، فلما ركبا في السفينة لم يفاجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها (لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت الأولى من موسى نسيانا ، وجاء عصفور وقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر : ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل هذا العصفور من هذا البحر ، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان و فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله ، فقال له موسى : (أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ، قال سفيان : وهذه أشد من الأولى (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) فقال الخضر بيده هكذا ، أي أشار بيده ، فأقامه فقال موسى : قوم آتيناهم فلم يطعمونا و ولم يضيفونا (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) قال

1صفوة التفاسير، ص184.
2نفس المرجع، ص184

الخضر : (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص الله علينا من أخبارهما) أخرجه الشيخان . [1]

"وهنا في هذا المطلب سنبين رحلة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح من بدايتها إلى النهاية مبينا الدروس المستفادة من هذه الرحلة، مبينا حوار سيدنا موسى مع العبد الصالح، وكيف صور سيد قطب هذا المشهد المدهش العظيم. "

فقد صورت القصة العواطف والانفعالات المختلفة وإبرازها بجانب الشخصيات وإحياء المشاهد وهذه بعض تفاسير القصة.[2]

ـ يقول سيد قطب في الظلال: سيرة سيدنا موسى مع الخضر لا تذكر إلا في موضع واحد في القرآن في سورة الكهف، والقرآن لا يحدد المكان الذي وقعت فيه إلا بأنه (مجمع البحرين)[3].

ـ و(مجمع البحرين): قيل أن بحر الروم فلزوم، أي البحر الأبيض والبحر الأحمر، ومجمعهما مكان التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح، أو أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر، فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، وعلى أي فقد تركه القرآن مجملة فنكتفي بهذه الاشارة.

ولما بلغ موسى وفتاه ملتقى البحرين جلس ليستريح فأخذته سنة من نوم، وفي هذه الأثناء أمطرت السماء فابتل الحوت وانتفض إذ عاودته الحياة وانساب في مياه البحر لما استيقظ موسى من غفوته وأمر فتاه بمعاودة السير للبحث عن بغيتهما، وقد حدث أن فتاه نسي أن يخبره بفقدان الحوت، ولما أحس بالجوع أمره موسى بتحضير الطعام وعندئذ تذكر الفتى ما كان من أمر الحوت فأخبر موسى بفقدانه. قال فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا.[4]

استبشر موسى بما سمعه وقال لفتاه هذا ما كنا نبغي فلنرجع لنقتضي الأثر حتى نبلغ المكان الذي فقدنا فيه الحوت، وما إن وصلا إلى المكان حتى وجدا العبد الصالح (الذي وعد به موسى).

---

[1] ينظر المرجع السابق، ص 185.
[2] سيد قطب، التصوير الفني، ص 862.
[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 22-74
[4] قصص الأنبياء، ص263.

الفرع الأول: موسى عليه السلام ورحلته لطلب العلم

وهنا تبدأ رحلة موسى في طلب العلم قال تعالى : (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا) وبهذا الأدب اللائق بنبي ، يستفهم ولا يجزم ، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العم ، لكن علم الرجل ليس هو العلم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج ، ومن ثم فلا طلاقة لموسى بالصبر على الرجل وتصرفاته ولو كان نبيا رسولا ، قال إنك لن تستطيع معي صبرا .....إلى حتى أحدث لك منه ذكرا، يقول صاحب الظلال سيد قطب هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي وبالأحكام الظاهرة ، ولا بد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة ، وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار ، لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتي العلم اللدن على موسى إلا يصبر على صحبته وتصرفاته ، ويعزم موسى على الصبر والطاعة ، ويستعين بالله ويقدم مشيئته ، قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ، فيزيد الرجل توكيدا وبيانا ، ويذكر له شرط صحبته قبل بدء الرحلة وهو أن يصبر ولا يستفسر ..... حتى يكشف له عن سرها، "وقد مرت هذه القصة بثلاث محطات رئيسية تجسدت في ثلاث أحداث كان ظاهرها منكرا لكن باطنها حكمة ورحمة من الله عز وجل. [1]انفعال سيدنا موسى حول الموقف العجيب الذي كان يظنه منكرا ."

أولا: خرق السفينة

سار موسى والعبد الصالح على ساحل البحر فمرت بقربهما سفينة فطلبا من أصحابها أن يحملوها معهم فقلبوا، وركبا في السفينة وفي غفلة من أصحابها خرقها العبد الصالح أي ثقبها ويمكن إصلاحها فيما بعد، هال موسى هذا الصنيع ونسي العهد الذي أخذه على نفسه من عدم الاعتراض على فعل العبد الصالح فقال: ، تخرق سفينة القوم لتغرق أهلها بعد أن أكرموا وأفادوا؟ لقد عملت شيئا معيبا. ولكن العبد الصالح ذكره بالشرط الذي كان بينهما ، فأدرك موسى خطأه وطلب منه ألا يؤاخذه على نسيانه.[2]

1 ينظر ، في ظلال القرآن ، ص76.
2 قصص الانبياء ص. 264
3 روح المعاني ، الالوسي ، ص 298

ـ يقول السعدي في تفسيره[1]: (فانطلق حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) أي اقتلع منها لوحا، وكان له مقصود في ذلك، سيبنه، فلم يصبر موسى غليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، ولأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى: (أخرقتها لتغرق أهلها) أي لقد جئت شيئا عظيما شنيعا، وهذا من عدم صبره عليه السلام، وقال له الخضر: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى نسيانا، فقال موسى لا تؤاخذني بما نسيت أي لا تعسر علي الأمر ، واسمح لي ، فإن ذلك وقع على وجه النسيان ، فلا تؤاخذني في أول مرة ، فجمع بين الإقرار به والعذر منه ، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك ، فسمح عنه الخضر. [1]وهذا هو حال المعلم مع المتعلم أن يتحلى بالصبر، ولا يتسرع في بداية الأمر. [2] "وسيدنا موسى أكبر مثال في ذلك ، فقد صور مشهده الرائع وهو بين الصبر والإنفعال ".

صح أنهما انطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان ارتفع النهار أحس موسى عليه السلام بالجوع فعند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا وهو الطعام الذي يأكل، أول النهار والمراد به الحوت، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا أي تعبا وإعياء وهذا إشارة إلى سفرهم الذي هو ملتبسون به ولكن باعتبار بعض أجزائه، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (لم يجد موسى شيئا من النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر به).

وذكر أنه يفهم من الفحوى، والتخصيص بالذكر أنه لم ينصب في سائر أسفاره والحكمة في حصول الجوع والتعب له حين جاوزا أن يطلب الغداء فيذكر الحوت فيرجع إلى حيث يجتمع مراده [3].

ـ ثانيا: قتل الغلام الصغير

ـ وبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأحذ الخضر وخرجا رأسه بيده فاقتلعه بيده فقال له موسى (اقتلت نفسا زاكية بغير نفس؟ أي نفسا طاهرة قال هذه أشد من الأولى.[4]

الفرع الثاني: اعتراض موسى على العبد الصالح

1مع الانبياء في القران الكريم، مرجع سابق ، ص266
2ينظر، تفسير السعدي، ص482.
3روح المعاني ، ص298.
4 مع الأنبياء في القرآن الكريم ،ص263

انفطر قلب موسى من هذه الجريمة النكراء واعترض ثائرا (اقتلت نفسا طاهرة بريئة!! لقد صنعت شيئا منكرا، فما كان من العبد الصالح إلا أن قال له بلهجة العاتب المؤنب : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا على ما تراه في صحبتي؟ فأجابه موسى مظهرا ندمه: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فقد وجدت لك عذرا من جهتي في مفارقتك إياي.

لقد نسي موسى عليه السلام ما قاله هو وما قاله صاحبه، امام هذا التصرف العجيب الذي لا مبرر له في نظر المنطق العقلي، وها هو ذا موسى الذي نبه من قبل إلى أنه لا يستطيع صبرا على مالم يحط به خبرا، فاعتزم الصبر واستعان بالمشيئة وبذل الوعد وقبل الشرط، وها هو ذا يصطدم بالتجربة العملية لتصرفات هذا الرجل فيندفع مستنكرا. نعم إن طبيعة موسى انفعالية واندفاعية، كما يظهر من تصرفاته في كل أدوار حياته ، منذ أن وكز الرجل المصري الذي رآه يقتتل مع الاسرائيلي فقتله في اندفاعة من اندفاعاته ، ثم أناب إلى ربه مستغفرا معتذرا حتى إذا كان اليوم الثاني ورأى الاسرائيلي يقتتل مع مصري آخر ، هم بالآخر مرة أخرى .

ـ يقول الخفاجي: (نفسا زاكية) و الجواب الصحيح هنا أن يكتفي بالاشتراك التقديري لأن الخضر عليه السلام كان عالما بالباطن ، فهو يعلم أنه لا زكاة فيه ولا رحمة فقوله : أنه لا دليل عليه ولا وجه له ، وأنت تعلم أن الرحمة على التفسير الثاني مما لا يصح نفيها لأنها مدار الخشية فافهم ، والظاهر أن الفاء للتفريع فيفيد بسببية الخشية للإرادة المذكورة ويفهم من تفريع القتل ، ولم يفرعه نفسه مع أنه المقصود تأويله إعتمادا على ظهور فهمه من هذه الجملة على اللطف وجه ، وفيها إشارة إلى رد ما يلوح به كلام موسى عليه السلام من أن قتله ظلم وفساد في الأرض. ـ ويقول في تفسير الجلالين: (قتلت نفسا زاكية) أي طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفي قراءة زكية، بتشديد الياء، وبغير ألف (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا: أي منكرا.[1] "ما يزال موقف موسى في حيرة حتى شرح له الخضر تصرفاته."

ـ وظف القرآن الكريم أداة التوكيد توظيفا فنيا دقيقا في قوله تعالى (قال إنك لن تستطيع معي صبرا 67) ، ثم قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا72 ، ثم قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا 75) حيث جاء في مواضع محددة لافتة للتأمل في قصة موسى عليه السلام ، في الآية الأولى

1 ينظر ، جلال الدين محمد احمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، ط1 ، ص 3023.

أجاب الخضر موسى عليه السلام عندما سأله أن يتبعه قائلا : (إنك لن تستطيع معي صبرا) وأكد إجابته بأداة التوكيد (إن)لأنه كان على يقين بأن موسى عليه السلام لن يصبر على ما لم يحط به خبرا . وعندما عاتبه على خرق السفينة، أعاد العبد الصالح حديثه الأول مضيفا جملة: (قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) .

وحين عاتبه في قتل الغلام أضاف شبه الجملة (لك) في قوله (قال ألم أقل لك غنك لن تستطيع معي صبرا) ، والمتأمل في هذه الآيات يلاحظ أن التعبير القرآني حمل قوة الخطاب ، وصور نفسية العبد الصالح وهو يخاطب كليم الله موسى عليه السلام ، ففي المرة الأولى اكتفى بالتوكيد بأداة التوكيد (إن) . وعندما توالت معاتبته له جاء بمؤكدات لفظية، مثل الجملة الاستفهامية المفيدة للتقرير (ألم أقل)، وحرص على ذكر كاف الخطاب في المرة الثالثة لأن كاف الخطاب أبلغ في التنبيه، وفيها زجر وإغلاظ ليس في الأول.[1]

ثالثا: بناء الجدار

قال تعالى :(فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا (76) قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا (77) [سورة الكهف : آية 77] .

ـ يقول صاحب الظلال في هذا المشهد الثالث[2]: إنهما جائعان، وهما في قرية أهلها بخلاء، لا يطعمون جائعا، ولا يستضيفون ضيفا، ثم يجد أن جدارا مائلا يهم أن ينقض، والتعبير يخلع على الجدار حياة وإرادة كالأحياء فيقول: (يريد أن ينقض) فإذا الرجل الغريب يشغل نفسه بإقامة الجدار دون مقابل !!! وهنا يشعر موسى بالتناقض في الموقف ما لذي يدفع هذا الرجل أن يجهد نفسه ويقيم جدارا يهم بالانقضاض في قرية لم يقدم أهلها لهما الطعام وهما جائعان ، وقد أبوا أن يضيفوهما ؟ أفلا أقل من أن يطلب عليه أجرا يأكلان منه؟ (قال لو شئت لا تأخذت عليه أجرا)! وكانت هي الفاصلة ، فلم يعد لموسى من عذر ، ولم يعد للصحبة بينه وبين الرجل مجال : قال (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه أجرا) والى هنا كان موسى ونحن الذين نتابع سياق القرآن

1 تصريف القول في القصص القرآني ، ص 122
2 في ظلال القرآن .ص 2280

أمام مفاجآت متوالية لا نعلم لها سرا ، وموقفنا منها كموقف موسى ، بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة ، فلم ينئنا القرآن باسمه ، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا ، وما قيمة اسمه ؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلاهية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف الى اغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة. فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها. وأن القوى الغيبية لتتحكم في القصة منذ نشأتها. فها هو ذا موسى يريد أن يلقى هذا الرجل الموعود، فيمضي في طريقه ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة، وكأنما نسيه ليعود، فيجد هذا الرجل هناك [1]. وكان لقاءه يفوتهما لو سارا في وجهتهما، ولو لم تردهما الأقدار إلى الصخرة كرة أخرى.. كل الجو غامض ومجهول، وكذلك اسم الرجل الغامض المجهول في سياق القرآن ثم يأخذ السر في التجلي ...

ـ ذكر الصابوني الاستعارة في (يريد أن ينقض) لأن الإرادة من صفات العقلاء وإسنادها إلى الجدار من لطيف الاستعارة وبليغ المجاز [2] ، وذكر التنكير للتفخيم والإضافة للتشريف في قوله (عبدا من عبادنا) ، وبين تعليم الأدب في قوله تعالى : (فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك حيث أسند ما ظاهره شر لنفسه وأسند الخير إلى الله تعالى ،" وذلك لتعليم الأدب مع الله عز وجل".[3]

الفرع الثالث: أسرار تصرفات العبد الصالح مع سيدنا موسى عليه السلام والدروس المستفادة من ذلك. هنا شرح الخضر كل تصرفاته التي كانت في رحلته مع موسى واتضح الامر له أنه ليس بمنكر.

وقبل أن يفارق العبد الصالح موسى شرع يبين له أسرار عمله قائلا:

قال تعالى: (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا 78 وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا 79 فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما 80 وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان

1في ظلال القران، ص2280.
2صفوة التفاسير، ص82.
3 ينظر ، تفسير الصابوني، صفوة التفاسير، ص 185

تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغ أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا 81). [سورة الكهف : آية 81] .

أولا: وبيان ذلك أن السفينة كانت لمساكين ليس لهم مال سواها، وقد علمت أن ملكا غاصبا كان يتعقب كل سفينة صالحة ويسلبها من أهلها فأردت أن أجعل فيها عيبا يمكن اصلاحه فيما بعد حتى إذا رآها الملك ظنها غير صالحة فيتركها لأصحابها وتسلم لهم.

ثانيا: وأما الغلام فقد كانت تظهر عليه علامات الفساد منذ الصغر، وكان أبواه مؤمنين صالحين فخشيت بما فطر عليه الآباء من حب الأبناء أن يطغى فساده على صلاحهما ويجرهما إلى الكفر والطغيان، فقتلته لأريح هذين الأبوين المؤمنين من مثل هذا الغلام الشرير ويرزقهما بدله مولودا خيرا منه صلاحا وأبر بهما رحما.

ثالثا: وأما الجدار الذي اقمته وتعبت في بنائه فقد كان لغلامين يتيمين في المدينة وتحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك الكريم أن يحفظ لهما الكنز حتى يكبرا ويستخرجاه، وما فعلته ليس من اجتهادي بل وحيا من الله وهذا هو تفسير مالم تستطع عليه صبرا.[1]

ـ يقول عبد الرحمان بن ناصر السعدي في تفسيره: في هذه القصة العجيبة الجليلة من هذه الفوائد، والأحكام، والقواعد، شيء كثير ننبه على بعضه:

ـ فمنها: فضيلة العلم والرحلة في طلبه وأنه أهم الأمور فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة ولقي النصب في طلبه وترك القعود عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

ـ ومنها: البداءة بالأهم فالأهم، فان زيادة العلم علم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم والجمع بين الأمرين أكمل.[2].

1 مع الانبياء في القران، ص 266.
2عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان، ص455.

ـ ومنها: أن المسافر لطلب علم أو اجتهاد أو نحوه إذا اقتضت المصلحة الأخبار بمطلبه وأين يريده فإنه أكمل من كتمه وإن في إظهاره فوائد من الاستعداد له عدته وإتيان الأمر على بصيرة وإظهارا لشرف هذه العبادة الجليلة كما قال (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين).

ومنها: تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى عليه السلام بلا شك أفضل من الخضر.

ومنها: الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء وحتى يعرف ما يراد منه، وما هو المقصود.[1]

ـ ومن الدروس المستفادة: ـ دروس في قوة الإرادة والعزم على بلوغ الهدف مهما كانت العوائق كما قال موسى (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) أي لا أزال سائرا إلى أن أصل إلى مقصودي ولو سرت زمانا من الدهر.

ـ كذلك درس في أدب المتعلم مع المعلم قول موسى (هل أتبك على أن تعلمني مما علمت رشدا) موسى يضع نفسه من الرجل الصالح موضع المتعلم فيعطي له حق قيادته وإرشاده، فإذا تنبه إلى أمر تنبه، وإذا بين له خطأ بادر إلى الاعتذار ووعد بالطاعة.

ـ إن إيمان الإنسان يحفظه الله لصاحبه، فلا يدع ظروف الحياة تذهب به، كما في حادثة الغلام الذي سينشأ على العصيان وسيرهق والديه طغيانا وكفرا.

ـ أن الله قد يكرم الأبناء إكراما لآبائهم الصالحين ولا يأخذهم بما فشي في مجتمعهم من فساد واعوجاج، وييسر لهم الحياة الرغيدة، كما في حادثة إقامة الجدار الذي تحته كنز والذي كان ليتيمين وكان أبوهما صالحا.[2]

يرسم القرآن مشهد موسى عليه السلام مع الخضر وهو في حيرة وترقب، ومفاجأته في الرحلة معه، "وكذلك مشهد الحوار الذي يمتاز بالإيقاع الجميل في هذه المحطات وهو ينتقل من البحر إلى السفينة، ثم إلى القرية، ويصور كل مرحلة وكأنها لوحة مرسومة فنية خيالية."

ـ يقول سيد قطب في كتابه التصوير الفني معبرا عن قصة موسى عليه السلام مع الخضر:

1 المرجع السابق، ص 456
2ينظر، عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الانبياء في القرآن الكريم، ص267.

تظهر شخصية موسى من خلال ما ورد من قصص حادة الطبع والمزاج سريعة الانفعال ، قوية الجسم وفي المقابل هي (سريعة في هدوءها واتزانها ، وليس معنى ذلك أن يفهم الاندفاع على أنه خلل أو تهور ، فما كان لرسول مختار أن يكون كذلك وإنما هي أحوال المفاجأة ، المثيرة التي تخرج الإنسان عن هدوء الطبع وإنما هي أحيانا أخرى ، تلك الغضبة للحق إذا ما كان هناك مجال للغضب أو هي الحماسة البالغة من أجل إدراك الحقيقة والصواب في بعض الأحيان ، وفي دهشة السر يختفي الرجل كما بدأ [1] ، لقد يخطر للأذهان الدهشة بعد أن تصحوا أن تسأل : من هذا ؟ ولكنها لن تتلقى جوابا و لقد مضى في المجهول، كما خرج من المجهول و فالقصة تمثل الحكمة الكبرى، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار، ثم تبقى مجهولة أبدا ، ذلك أفق من آفاق التناسق كذلك ، كان موضعه في فصل التناسق ، فليرده القارئ بنفسه على تلك الآفاق !ـ

خلاصة المبحث

ـ تظهر شخصية سيدنا موسى عليه السلام حادة الطبع والمزاج وسريعة الإنفعال ، قوية الجسم وفي المقابل هي (سريعة في هدوؤها واتزانها) خاصة حين قتل القبطي المصري وظن أنه ظالم .

ـ رسم لنا القرآن الكريم شخصية موسى عليه السلام الصابر الواثق بقضيته في تنويع الحوارات مع فرعون وقومه والسحرة ، فهو يواجه تهديد من فرعون باللجوء إلى الله تعالى ، فأغرق فرعون وانتصر موسى عليهم جميعا .

ـ مشهد رائع رسمه وصوره القرآن الكريم في قصة موسى مع الرجل الصالح والحالات النفسية التي حدثت لموسى عليه السلام واعتراضه أول الأمر قبل أن يعلم سر هذه التصرفات فهي محطات ممتعة ورائعة تبرز أدبه في طلب العلم مع معلمه .

ـ كذلك مشهد موسى عليه السلام الفتى القوي ، يصور طيبة قلبه وشدة ندمه ، حين رجع على نفسه لائما ، واقر بذنبه ، وراح يطلب الغفران ، (رب إني ظلمت نفسي) يرسم هذا المشهد كأنه الآن ينظر على موسى ويقف على ملامح وجهه المليئ حسرة وندما رافعا يديه رب اغفرلي .

[1] سيد قطب ، مرجع سابق ، ص185.

ـ الحالة النفسية التي ظهرت لموسى عليه السلام (لما رجع موسى لقومه غضبان أسفا) وهو أشد الغضب ، وإلقاء الالواح كان إظهارا للغضب ، لما شاهدهم على تلك الحالة ، و حوار موسى مع الخضر يعلمنا آداب المعلم مع معلمه، وإظهار شخصية سيدنا موسى سريع الإنفعال لكن قدم إحتراما كبيرا للخضر عليه السلام..

ـ تقابل شخصية موسى و شخصية إبراهيم عليهما السلام ، إنه لنموذج الهدوء ، والتسامح والحلم (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) .

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي وفقني إلى خاتمة هذا البحث، وبعد دراستي لهذا الموضوع توصلت إلى النتائج التالية:

- ساهم الحوار في بناء التصوير الفني في قصتي إبراهيم وموسى عليهما السلام أنه قد لعب دورا كبيرا في بناء الشخصيات ، وإبراز المواقف ، وإضفاء الحيوية على مشاهد حية في القرآن الكريم

- يظهر القران الكريم شخصية سيدنا ابراهيم عليه السلام و قوته في الصبر و حسن الجدال لإقناع قومه بالتوحيد و اثبات العقيدة.

- يظهر القرآن الكريم شخصية سيدنا موسى عليه السلام في سياقات متعددة مثل فرعون الطاغية و بني اسرائيل و السحرة و الخضر و الغرض من ذلك هو صبر الانبياء مع أقوامهم على الدعوة و بيان معجزاته كدليل على صدق الرسالة

- وكذلك كيف صور لنا القرءان الكريم سيدنا ابراهيم مع النمرود وشدة كفره وجبروته

- من خلال دراستي لهذا الموضوع تبين لي أن الحوار له أهمية كبيرة في القرآن الكريم خاصة في بناء المشاهد القصصية وتصوير المعاني العقدية والفكرية بأسلوب مؤثر.

- جمال العرض في جدال إبراهيم عليه السلام مع النمرود بأسلوب جدلي مؤثر، وبين كيف يظهر القران الكريم سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يجادل الملك بحجة بسيطة لكنها قاطعة مما يجعل هذا المشهد كأنها لوحة فنية ناطقة.

- إبراهيم عليه السلام لا يجادل خصومه في العقيدة بالعنف، بل يعرض قضاياه في أسلوب هادئ منطقي متدرج، حجج واضحة وأدلة قاطعة، وهذا ما يجعل الحوار في قصة مشهدا فنيا رائعا من مشاهد التصوير الفني.

كل هذه الحوارات بينت لنا نماذج فنية من أساليب الدعوة فيها الدفء العاطفي مع الوالدين والقوم، والحجة الحاسمة مع الطغاة ظاهرة بصور حسية نابضة ، وبأساليب فنية بليغة وعذبة.

التوصيات:

1- ضرورة مواصلة البحث في قصص القران خاصة قصص الأنبياء الممتعة وذلك لفهم القرآن الكريم وتدير معانيه بكل سهولة.

2- معرفة قصص الأنبياء مثل التي درستها من أحول القصص في القرآن الكريم لذا يجب التعمق فيها ومعرفتها وشرحها في بعض التفاسير العلمية وذلك لما فيها من منافع تخدم الدنيا والدين

3 - الاهتمام بعلوم القرآن له أهمية كبيرة في فهم كتاب الله وتطبيقه في حياة المسلم وبشكل أفضل وبأساليب علمية موافقة للشريعة وأحكامها.

فقد صور القرآن الكريم فنيا بين الجمال اللغوي والجمال الروحي ، والبلاغة العالية مما يجعله مصدرا للمعرفة للمتعة الفكرية والفنية.

قائمة المصادر والمراجع.

1-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

2- ابن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، ط3، ج7، 1401ه ، 1981 م .

3-ابن منظور جمال الدين ابن مكرم، لسان العرب، مج3 ,دار صادر بيروت، محمد عبد العزيز أمل، أداء القاموس الشامل، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1997م

4- أبو القاسم بن عمروا بن أحمد الزمخشري جار الله الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 ، 1407 ه،ج4.

5-أبو بكر الوليد صديق خالد ، حوار الأنبياء مع أقوامهم ، رسالة ماجستير ، جامعة القران الكريم والعلوم الاسلامية.

6- أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تفسير البغوي ، معالم التنزيل ، دار طيبة ، الرياض ، 1409 ه

7- أحمد بن عبد الرحمان الصوبان ، الحوار ، أصوله، وآدابه السلوكية ، دار الوطن 1413ه ، ط1 ، ص17 .

8-أحمد فارس، مقاييس اللغة ، دار الجدل ، بيروت 14 ه-1991م ، ط1.

9- أحمد مداني ، نظرية التصوير الفني ، مجلة اللغة العربية ، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف الجزائر.

10- اسعد السحمراني الحوار في الاسلام و أدبه وقواعده ,درا النفائس ط لبنان ,1433 9- أمحمد محمد صافي المستغني، تصريف القول في لقصص القرآني، دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام، دار ابن كثير، ط1 1439 - 2018

11- الحافظ عماد الدين أبي الفداء، إسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، دار الأندلس، ج2 ، ط3 ، 1401 ه - 1981 م

12- الرازي أبى بكر، مختار الصحاح (مادة حور) منشورات در الحكمة، ط1، دمشق1998 م .

13- الدكتور فضل صالح السامري، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار البركة، ط3 ، 1439ه ، 2018 م

14- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح، عبد الله المحسن التركي بيروت، الرسالة ، 2006 ج.

القرآن الكريم : ورش

15- الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ،الدار التونسية للنشر ،الجزء 27، 1988تونس

16- حمادي ربيعة ، المشاهد التصويرية في النص القرآني ، دراسة في الانفعال النفسي دكتوراه ، قسم اللغة والادب العربي كلية الآداب واللغات ، جامعة سطيف 02-الجزائر

17- درة النفيسة ، كلية العلوم الإنسانية ، رسالة الماجيستير ، الكناية في القرآن الكريم (دراسة تحليلية بلاغية) .

18- سيد قطب ،في ظل القران ،دار الشروق ط1،1972،القاهرة ،بيروت ،ص14-18 ج1-

19- صحيح البخاري كتاب الآدب باب رقم33 ، حديث رقم 5675

20- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج4 الحديث رقم 2594.

21-عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376 ه) ، تيسير الرحمان في تفسير الكلام المنان ، تح عبد الرحمان بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1420 ه ، ج 1 .

22- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، دار التقوى، ط1 ، 1436- 2015- القاهرة.

23-عبد الرحيم ماردیني ، عبد الرزاق كيلو ، قصص الأنبياء ، دار المحبة دمشق سوريا ، ط1 1005- 2006.

24- عبد الغفور عبد الحق البلوشي، الحوار، أصوله وآدابه وكيف نربي أبنائنا عليه، دار الخضير للنشر 1427 المدينة المنورة .

25- عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، تح عبد الحميد هنداوي، أسرار البلاغة في علم البيان، دار النشر الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1، 1422، 2001

26- عبد الواحد بن محمد العوكاز ، الحوار في القرآن والكريم وأبعاده الحجاجية ، بحوث محكمة كلية الآداب والعلوم الانسانية.

27- عفيف عبد الفتاح طبارة ، مع الأنبياء في القرآن الكريم دار العلم للملايين ، ط1 ديسمبر 1975 ، ص 218 .

28- محمد حسين فضل، الحوار في القرآن قواعده واساليبه ومعطياته دار منصور للنشر، ج1

29- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، المجلد الثاني، الطبعة العاشرة ، 2012 م ، المكتبة الوقفية

30 - محمد قطب عبد العال ، كتاب من جماليات التصوير في القرآن الكريم ، دار النشر ، وكالة الصحافة العربية2018 ،الفصل الرابع ،آداء التصوير ومشاهد الجنة .

31- مريم إبراهيم، التصوير الفني لمشاهد يوم القيامة عند سيد قطب، مجلة ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاسلامية، الجزائر.

32- مصطفى ديب البغاء، كتاب الواضح في علوم القرآن، مظاهر التصوير الفني في القران الكريم

33- موسى بن يحي الفيفي ، وعبد الغفور عبد الحق، الحوار آدابه وأصوله، وآدابه، وكيف نربي أبناءنا عليه ، المدينة المنورة، دار الخضيري للنشر، د ط ، 1427.

34- يماس محمد راشد، فنون الحوار والاقناع، دارين حزم ,1420ه,1999.

35 يحي بن محمد. حسن بن احمد زمزمي ، الحوار وضوابطه فالكتاب والسنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط1، 1414-1994م .

فهرس الآيات

الآيـــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
(قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)	البقرة	111	5
(وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم	البقرة	54	78
(**وإذ** قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا)	البقرة	67 _ 73	75
(وقولوا للناس حسنى)	البقرة	83	7
(ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل)	البقرة	92	80
(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت)	البقرة	129_127	27
(الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه)	البقرة	258	55
(واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحي الموتى)	البقرة	260	43-3
(قل أي شيء اكبر شهادة قل الله)	الانعام	19	10
(وإذ قال ابراهيم لأبيه ءازر أتتخذ أصناما)	الانعام	74_ 79	58
(ثم بعثنا من بعدهم موسى بئاياتنا الى فرعون)	الاعراف	130_103	66
(واذا نجيناكم من ءال فرعون يسومونكم)	الاعراف	143_141	77
(واتخذ قوم موسى من بعدهم من حليهم عجلا)	الاعراف	148	78
(ولما رجع موسى الى قومه غضبانا اسفا)	الاعراف	155_150	78
(خذ العفو وامر بالعرف)	الاعراف	199	5
(إنما مثل الحياة الدنيا)	يونس	24	37
(ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون)	يونس	77_75	66
(وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم)	يونس	92_79	66
(قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا)	هود	32	6
(إن ابراهيم لحليم أواه منيب)	هود	75	54
(ونبئهم عن ضيف إبراهيم)	الحجر	56_51	56
(إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا)	النحل	123_120	54
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)	النحل	125	8-3

(ولقد كرمنا بني آدم)	الاسراء	70	4
(ولقد ءاتينا موسى تسع ءايات بينات)	الاسراء	103_101	67
(قال له صاحبه وهو يحاوره)	الكهف	36	2
(ودخل جنته وهو ظالم لنفسه)	الكهف	37	2
(واذ قال موسى لفتاه لا أبرح)	الكهف	78_60	82
(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر)	الكهف	82_79	89
(واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا)	مريم	47_41	45
(وهل أتاك حديث موسى)	طه	13_9	63
(اذهب الى فرعون إنه طغى)	طه	37_24	67
(اذهبا الى فرعون إنه طغى)	طه	50_42	68
(قال أجئتنا لتخرجنا من أرضك يا موسى)	طه	64_57	77
(قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما ان نكون أول من ألقى)	طه	71_65	72
(وما أعجلك عن قومك يا موسى)	طه	94_83	78
(ولقد ءاتينا إبراهيم رشده من قبل)	الأنبياء	57_51	44
(قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين)	الانبياء	70_59	66
(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا)	الحج	27	59
(وإذ نادى ربك موسى أن إيتي القوم الظالمين)	الشعراء	49_10	70
(إنما مثل الحياة الدنيا)	يونس	24	37
(نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق)	القصص	13_3	62
(وأوحينا على موسى أن أرضعيه)	القصص	35_14	64
(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)	العنكبوت	46	4-7
(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه)	لقمان	14_12	9
(إنما تعبدون من دون الله أوثانا)	العنكبوت	27_16	48
(وآية لهم الليل)	يس	36	34
(ونفخ في الصور)	يس	50	29

((وهل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين)	الذاريات	28_24	57
(وإبراهيم الذي وفى)	النجم	37	54-4
(قد سمع الله قول التي تجادلك)	المجادلة	01	2
(قال إني بريء منك)	الحشر	16	10
(إنه ظن ان لن يحور)	الانشقاق	13	1

فهرس الأحاديث/ طرف الحديث	الراوي	الصفحة
1 - (قال النبي صلى الله عليه وسلم :(الدين النصيحة)	البخاري ومسلم	7
2 - (لا إله إلا الله سبحانك لك الحمد ولك الملك....)	البخاري	53
3- (إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسأل أي الناس أعلم ؟ فقال أنا .....)	الصحيحين	82
4 - (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة .....)	ابن جرير الطبري	47
5 - (يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص الله علينا من أخبارهما .)	رواه الشيخان	83
6 - (لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد)	ابن جرير الطبري	76
7 - (أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته)	رواه البخاري	76
8 -(لما ألقى إبراهيم في النار قال اللهم إنك في السماء واحد)	رواه البخاري	54
9- (ما كان الرفق في شيء إلا زانه)	رواه مسلم	7

فهرس الأعلام	الصفحة
الجاحظ (ت868)	16
الخطابي (ت 388 ه)	17
الرماني (ت386 ه)	18
أبو هلال العسكري (ت 195)	18
الخفاجي (ت 466)	18
عبد القاهر الجرجاني (ت471)	19
الزمخشري (ت538)	20

الفـــــهرس

العنـــــــوان	الصفحـة
الإهداء	
كلمة شكر وتقدير	
ملخص الدراسة بالعربية	
ملخص الدراسة بالإنجليزية	
المقدمة	أ - و
المبحث الأول: الحوار و أدابه و اهميته و اساليبه في القرءان الكريم	
المطلب الاول : مفهوم الحوار	**1**
الفرع الاول :الحوار لغة	**1**
الفرع الثاني: الحوار اصطلاحا	**2**
الفرع الثالث : الحوار في القرءان الكريم	**3**
المطلب الثاني: آداب الحوار في القرءان الكريم	**3**
الفرع الاول : الادب بالحسنى والتواضع وبشاشة الوجه	**4**
الفرع الثاني : ادب الحوار بالدليل والحلم والصبر	**5**
المطلب الثالث :اهمية الحوار واساليبه في القرءان الكريم	
الفرع الاول : اهمية الحوار في القرآن الكريم	**6**
الفرع الثاني : اساليب الحوار في القرآن الكريم	**9**
المبحث الثاني : التصوير الفني ومنهج العلماء فيه وبعض مظاهره في القرءان الكريم	
المطلب الاول: مفهوم التصوير الفني	**13**
الفرع الاول: التصوير الفني لغة	**13**
الفرع الثاني : التصوير الفني اصطلاحا	**14**
المطلب الثاني : منهج العلماء في التصوير الفني و اراءهم فيه	**15**
الفرع الاول : مراحل التصوير الفني	**15**
الفرع الثاني : سيد قطب صاحب النظرية والفكرة	**21**

المطلب الثالث : مظاهر التصوير الفني في القرءان الكريم	**23**
الفرع الاول: مظاهر التصوير الفني (المحسوسة والمتخيلة و الحالات النفسية)	**23**
الفرع الثاني : مظاهر التصوير الفني (مشاهد يوم القيامة وصور النعيم والعذاب)	**28**
الفرع الثالث : مظاهر التصوير الفني (الوان البيان في القرءان الكريم)	**32**
المبحث الثالث : أثر الحوار والتصوير الفني في قصة ابراهيم عليه السلام	**40**
المطلب الاول : اثر الحوار في التصوير الفني (ابراهيم مع أبيه)	**41**
الفرع الاول : حوار إبراهيم مع أبيه والتدرج في الدعوة	**42**
الفرع الثاني : أدب الحوار مع ابيه باللطف واللين	**43**
الفرع الثالث : النصح بالحكمة و الترسيخ الدعوة بالتوكيد	**44**
المطلب الثاني : اثر الحوار في التصوير الفني(ابراهيم مع قومه)	**45**
الفرع الاول : دعوة ابراهيم عليه السلام قومه الى التوحيد	**45**
الفرع الثاني :استخدام اسلوب الاستدراج لاثبات ان الكواكب لا تصلح للعبادة	**46**
الفرع الثالث : المعجزة الالهية	**49**
المطلب الثالث : اثر الحوار في التصوير الفني (ابراهيم مع النمرود)	**52**
الفرع الاول : مناظرة ابراهيم النمرود	**52**
الفرع الثاني : جحود النمرود وكفره	**53**
الفرع الثالث : النتيجة والخاتمة	**53**
المبحث الرابع : اثر الحوار في التصوير الفني قصة موسى عليه السلام	
المطلب الاول : حوار موسى عليه السلام مع فرعون	**58**
الفرع الاول : موسى عليه السلام في بلاط فرعون	**59**
الفرع الثاني :الامر الاهي لموسى للذهاب الى فرعون	**62**
الفرع الثالث: موسى عليه السلام والسحرة	**67**
المطلب الثاني :اثر الحوار في التصوير الفني (موسى عليه السلام مع قومه)	**68**
الفرع الاول :موسى عليه السلام وبقرة بني اسرائيل	**68**
الفرع الثاني :موسى عليه السلام مع قومة وعبادة العجل	**71**

الفرع الثالث : موقف موسى من بني اسرائيل	**73**
المطلب الثالث : أثر الحوار في التصوير الفني (موسى مع الخضر)	**75**
الفرع الاول : موسى عليه السلام ورحلته لطلب العلم	**77**
الفرع الثاني : اعتراض موسى على العبد الصالح	**79**
الفرع الثالث: اسرار تصرفات العبد الصالح مع موسى والدروس المستفادة من ذلك	**82**
خلاصة المبحث	**85**
خاتمة	**86**
توصيات الدراسة	**87**
قائمة المصادر المراجع	**88**

ملخص الدراسة بالعربية :

– هذا البحث المرسوم بعنوان (كيف ساهم الحوار في بناء التصوير الفني في قصتي إبراهيم وموسى عليهما السلام ؟ وما أبعاده البلاغية والدلالية في إبراز المعاني والتأثير النفسي) ويهدف إلى الإجابة على الإشكالية التالية: كيف صورت لنا الآيات القرآنية لمشاهد الحوار في قصتي إبراهيم وموسى عليهما السلام؟ وللإجابة على هذه الإشكالية يستهل البحث بمفاهيم عامة، حول الحوار، وأهميته، والتصوير الفني ومظاهره، وفي الجانب التطبيقي، قدمت نماذج لمشاهد الحوار وبينت تصورها فنيا مدعمة بالتفاسير العلمية واتبعت المنهج الوصفي التحليلي وتوصلت الى عدة نتائج من أبرزها صورت لنا الآيات القرآنية في قصتي إبراهيم وموسى عليهما السلام بأسلوب دعوية وحكم بليغة وإثبات العقيدة وصراع بين الحق والباطل مما يجعل هذه القصص دورس خالدة في حياة المسلم.

الكلمات المفتاحية: الحوار _التصوير الفني – قصص الأنبياء

ملخص الدراسة باللغة الانجليزية:

This research, (The Effect of Dialogue on Artistic Depiction in the Stories of the Prophets, the Stories of Abraham and Moses as an Example), aims to answer the following problem: How were the Qur’anic verses depicted for us the scenes of dialogue in the stories of Abraham and Moses, peace be upon them? To answer this problem, the research begins with general concepts about dialogue, its importance, artistic photography and its manifestations, and in the applied aspect I presented examples of dialogue scenes and demonstrated their artistic conception, supported by scientific interpretations.I followed the descriptive and analytical approach and reached several results, the most prominent of which is that the Qur’anic verses in the stories of Abraham and Moses, peace be upon them, were depicted to us in a style of advocacy, eloquent wisdom, proof of belief, and a struggle between truth and falsehood, which makes these stories lessons.Eternal in the life of a Muslim.

Keywords: Dialogue, Artistic Photography, Stories of the Prophets.